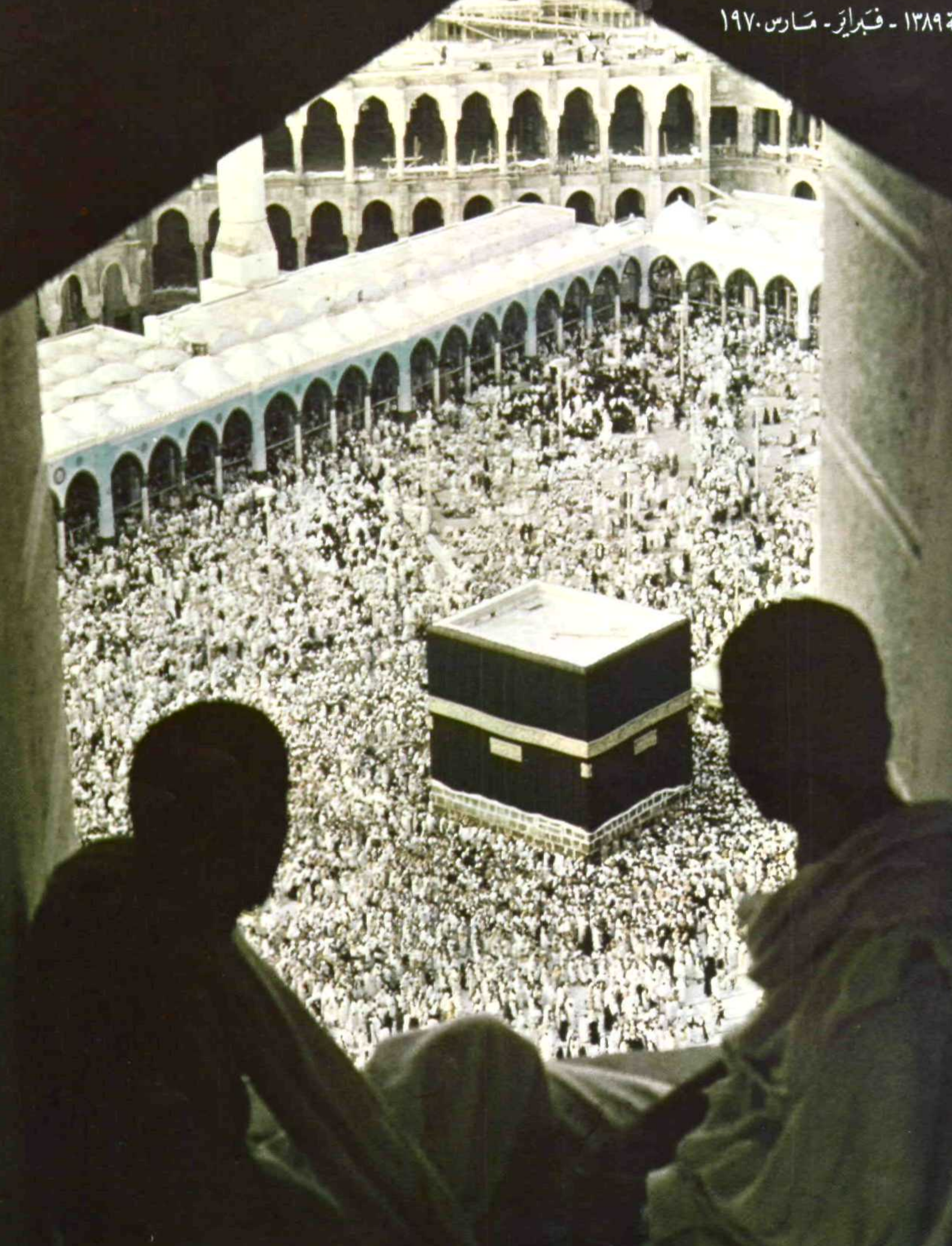
قافلة الزيت

ذو الحجة ١٣٨٩ - فبراير - مارس ١٩٧٠



بسم الله الرحمن الرحيم

قافلة الزيت

العدد الثاني عشر المجلد السابع عشر

تصدر شهرياً عن شركة الزيت العربية الأمريكية لموظفيها
ادارة العلاقات العامة
توزع مجاناً

العنوان صندوق البريد رقم ١٣٨٩ الظهران - المملكة العربية السعودية

محتويات العدد

آداب

علوم

استطلاعات

الغلاف الأمامي: صورة الغلاف

« واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً » تصوير : شيخ أمين

DESIGNED AND PRINTED BY AL MUTAWA PRESS-DAMMAM SAUDI ARABIA

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۞ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ۞ » صدق الله العظيم

"العمرة الى العمرة كفّارة لما بينهما ، والحجّ المبرور ليس له جزاء إلّا الجنّة"

حديث شريف

تهنئة بالعيد

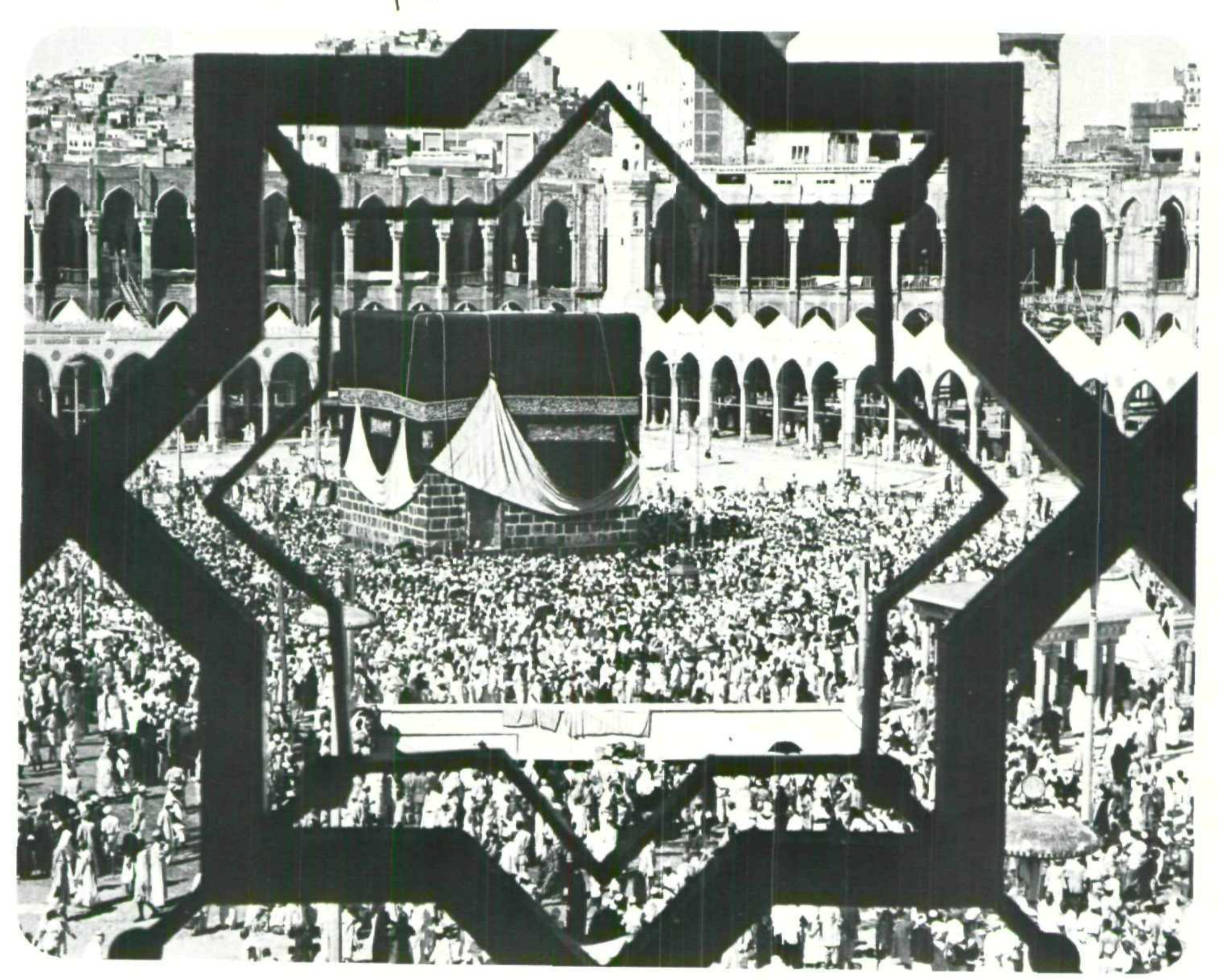
يطيب لهيئة تحرير قافلة الزيت أن تغتنم هذه المناسبة السّعيدة ، مناسبة حلول عيد الأضحى المبارك ، لترفع إلى المسلمين والعرب كافة ، وإلى جلالة الفيصل المعظم وولي عهده الكريم ، وإلى حجاج بيت الله الحرام وإلى قرائها الكرام أخلص وأسمى الأماني مبتهلة إلى العليّ القدير أن يعيده على الجميع وهم يرفلون في حلل السّلام والأمن والطمأنينة .

وكلّ عام وانتم بخير

هيئة التحرير

الحج ومدلولاته ومعانيه

بقلم الاستاذ عبد القدوس الانصاري



مدلولات الحج

في النطق بكلمة : (الحج) لغتان : احداهما بفتح الحاء ، وهي لأهل الحجاز ، وبها قرأ الجمهور ، القرآن العظيم ، والأخرى بكسر الحاء ، وهي لتميم ، وقيل : لأهل نجد ، وبها قرأ الحسن .. قال سيبويه : يقال حَجّ حِجّاً ، كقولهم : ذكر ذكرا(١) .

ولكلمة (الحج) مدلولان أيضا : أحدهما لغوي محض .. وهو القصد للشيء أو المكان مطلقا ، فتقول : حج فلان الى فلان ، بمعنى : (قَدِمَ) اليه . وتقول : حج فلان الى المكان ، بمعنى : (قَصَد) اليه . وثاني المدلولين لكلمة الحج ، اسلامي ، وهو قصد البيت الحرام : (الكعبة) للنسك في وقت مخصوص ، وبأعمال مخصوصة(٢) وهذا القصد الاسلامي هو موضوع هذه المقالة . وهو كما يكون فرضا ، اذا حصل من مسلم بالغ لأول مرة يكون نفلا ، اذا كان منه لثاني مرة وثالث مرة الخ . وبنص الحديث النبوي الصحيح على أن الحج هو الركن الخامس من أركان الاسلام . وفرضيته على المسلم وردت نصا في القرآن المجيد : **« ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا »** .

وأشهر الحج التي تشير اليها الآية القرآنية الكريمة : **(الحج أشهر معلومات)** كما قال العلماء انها ثلاثة : شوال ، وذو القعدة ، والعشر الأوائل من شهر ذي الحجة الذي يبدو أن اسمه المذكور مأخوذ من « الحج » الذي يقع في عشره الأوائل من كل عام .

والحج عبادة عظيمة جامعة لشتى ألوان المزايا الدينية والدنيوية : القولية والعملية .. وفي الحج تتركز مصالح دنيوية عديدة اقتصادية واجتماعية . والى مزاياه الاقتصادية تشير الآية الكريمة : **« ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم »** . واليها والى مزاياه الاجتماعية تشير الآية الكريمة الأخرى : **« ليشهدوا منافع لهم »** . ومن أهم مزايا الحج الدينية انه اذا حج المسلم الحج المبرور خرج من ذنوبه كلها وعاد طاهرا نقيا ، كيوم ولدته أمه .. **« وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم »** .

وابتغاء فضل الله تعالى الواردة اباحته في الآية المتقدم ذكرها آنفا هو من تشريع الاسلام الذي خالف به تقاليد الجاهلية العربية التي كانت ترى وتعمل على عدم مزاولة الحاج أي عمل دنيوي خلال حجه بحجة أنها أيام ذكر .. وهكذا أذن الاسلام بقيام الحاج بالبيع والشراء واجتناء مصالحه ومصالح أمته المشروعة . فدلل بذلك جليا على أنه دين عام خالد يراعي المصالح الدنيوية الحقة المشروعة ، كما أنه في الوقت ذاته يراعي الواجبات الدينية المحضة المشروعة من قبله للمسلمين ، ليجمع لهم بين خيري الدنيا والآخرة . وفي هذا روى المفسرون أن « أبا امامة التيميّ » سأل عبد الله ابن عمر قائلا له : انا نُكري — أي نؤجر دوابنا في الحج — فهل من حج ؟ وقد أجابه « ابن عمر » بالايجاب ، مستدلا بدليلين أحدهما عقلي ، ويتمثل في تساؤله التقريري الموجه الى السائل نفسه : أليس تطوفون بالبيت ، وتأمرون بالمعروف ، وترمون الجمار ، وتحلقون رؤوسكم ؟ وقد أجابه « أبو أمامة » بقوله : بلى .. ومن ثم استرسل « ابن عمر » رضي الله عنهما فقدم الى السائل الدليل الآخر النقلي المتمثل في روايته له عقب ذلك أنه : « جاء رجل الى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فسأله عن الذي سألتني ، فلم يجبه ، حتى نزل جبريل بهذه الآية الكريمة **« ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم »** . هذا وقد نزلت اباحة البيع والشراء والكراء في الحج وسماها القرآن ابتغاء من فضل الله ليشعر من يزاولها أنه يبتغي من فضل الله حين يتجر وحين يعمل بأجر ، وحين يطلب أسباب الرزق .. ومتى استقر هذا الاحساس في قلبه وهو يبتغي الرزق فهو اذن في حالة عبادة الله ، لا تتنافى مع عبادة الحج في الاتجاه الى الله .

(ومتى ضمن الاسلام هذه المشاعر في قلب المؤمن أطلقه يعمل وينشط كما يشاء .. وكل حركة منه عبادة في هذا المقام) (٣) .

المعاني السامية في الحج

يحمل (الحج) ، وهو عبادة قولية وعملية تكثر فيها الحركة والنشاط الجسماني بين المشاعر ، يحمل في طياته كثيرا من المعاني السامية التي من شأنها أن ترفع مستوى الفرد والمجتمع ، وتهيىء للمسلمين جوا حافلا بالتضامن والتشاور والتآزر ، فهو من هذه الناحية بالذات أهم وأعظم وأقدم مؤتمر عالمي ينعقد سنويا بانتظام في وقت مخصوص ومكان مخصوص بتركيز وتنظيم ، وتشريع حكيم مبين منذ نحو أربعة عشر قرنا متوالية . ان المسلمين يقطنون في سائر قارات المعمورة ، وهم بحكم فرضية الحج عليهم وركنيته يقومون سنويا ، زرافات ووحدانا على شتى وسائل السفر من أقاصي الأقطار وأدانيها ليوافوا مكة المكرمة في أشهر الحج ، وليؤدوا فريضة الحج ونسكه وشعائره في الظرف الذي عينه الاسلام لهم وعلى النمط الذي قدره لهم .. فهم اذا طلبوا مغفرة الله واستغفروا من ذنوبهم وطلبوا رحمة ربهم ، ودعوه لقضاء حوائجهم وشفاء مرضاهم ورزق معيليهم ، الى آخر الأغراض البشرية الخاصة والعامة ، فانهم في ذات الوقت أثناء الحج يجتمعون حلقا حلقا ، ومثنى مثنى ، ويتذاكرون أحوالهم ويتشاورون فيما ينفعهم وفيما يفيدهم ، ويتذاكرون في شؤونهم الاقتصادية الخاصة والعامة . ويقومون بذلك كله وقلوبهم عامرة بالتقوى والاخلاص والوئام ، شاعرين بأنهم جميعا أخوة في ظل الاسلام ، جمعتهم عقيدتهم الخيرة ، مختارين طائعين في هذا الصعيد الميمون ، ليتعارفوا ويتآلفوا ، وليبتغوا فضلا من ربهم ، وليتجنبوا بواعث الفساد والاضمحلال والخضوع والخنوع لغير الله تعالى ، ولينفذوا تعليمات دينهم الخالد في تضامنهم تحت راية التضامن الاسلامي ، وليرتفعوا بأوطانهم ، وبني دينهم ، في أخوة اسلامية نابعة من العقيدة لا من المادية الطائشة الرعناء .. فهذا حاج قدم الى مكة المكرمة من تركيا متجردا من المخيط والمحيط ، قاصدا بما أنفق وبما تعب في سبيل الوصول الى الكعبة المشرفة المعظمة ، رضا ربه ، ومنة التلاقي المتعاطف مع أخوته المسلمين .. وقل مثل ذلك في هذا الحاج الآخر القادم من الجنوب لنفس الهدف القيم ، وقل مثله أيضا في الحاج القادم من المشرق ، ومثله في الحاج الوافد من المغرب .. انهم جميعا جاءوا الى مكة من كل فج عميق تحتضنهم فكرة واحدة ، ويحتضنون مبدءا واحدا ، ويستهدفون غرضا واحدا . وهكذا تشع بينهم شمس الأخوة الاسلامية التي بذرها الاسلام بذرا زكيا في صدورهم فأثمرت لهم هذا الخير وهذه المحبة وهذا الوئام .. انهم يقدمون الى الحج تدفعهم الى تجشم مشاقه رغبة عارمة في ابتغاء مرضاة الله وابتغاء فضله في هذا المؤتمر الاسلامي العظيم ■

١ — زاد المسير في علم التفسير .. تفسير الامام ابن الجوزي للقرآن المجيد . ٢ — الفقه على المذاهب الأربعة . ٣ — تفسير : (في ظلال القرآن) لسيد قطب .

من قصص الخلفاء والملوك في الحج

بقلم الاستاذ أحمد السباعي

يستقصي «تقي الدين أحمد بن علي المقريزي» عدد المرات التي حج فيها خلفاء الاسلام ، ويروي لنا «ابن الأثير» ، و «الطبري» ، و «الأزرقي» و «الفاسي» وجمهرة من المؤرخين كثيرا من عجائب القصص التي كانت تصادف حجاجنا من الخلفاء أو الملوك عبر التاريخ في ثنايا الحج .

فما نستخلصه مما يرويه الطبري ، وهو مؤرخ ملتزم بسلسل حوادث الأعوام كل عام على حدته ، اشارته في آخر حوادث العام عن الخليفة أو الملك الذي يشد رحاله الى الحج ، وربما توسع القزويني بتفصيل أكثر في وصف القافلة التي مشت في ركاب الخليفة أو الملك ، ويسهب ابن الأثير أو الأزرقي في أخبارها .

ونحن هنا لنلخص أهم هذه الروايات سنجد مما يروونه ان الخلفاء الراشدين أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ، حرصوا على اداء أعمال الحج في سائر السنوات التي تولوا فيها الخلافة الا سنة واحدة لكل منهم على خلاف في بعض الأقوال ، أما علي كرم الله وجهه ، فقد حالت الحروب بينه وبين ذلك .

وحج من خلفاء بني أمية خمسة هم معاوية ، وعبد الملك ، والوليد ، وسليمان ، وهشام .. حج معاوية وعبد الملك أكثر من مرة ، ولم يحج الثلاثة الباقون الا مرة واحدة .

أما خلفاء بني العباس في بغداد فلم يحج منهم الا ثلاثة من خلفاء العصر الأول وهم المنصور ، والمهدي ، والرشيد . ولم يحج من خلفاء العصر العباسي الثاني أحد ، لأن حياة الترف التي يرويها القزويني بالاضافة الى سيطرة الفاطميين على مقدرات الحجاز وثورات القرامطة التي أشعلت الفتن في الطريق الى مكة ، واحتلالهم مكة نفسها كانت كلها عوامل ذات أثر حجبت الخلفاء عن مكة ومنعتهم من اداء فريضة الحج .

وامتنع خلفاء الأندلس جميعا عن الحج لسيطرة خلفاء المشرق على الحجاز ، ولأنه كان يتعذر على الخليفة الأندلسي أن يجد طريقه الى مكة آمنا .

ويمضي بنا القزويني في احصائه فيذكر لنا أسماء من حج من ملوك الاسلام بعد أن انقسمت الخلافة الى دويلات ، فيقول انه حج من ملوك اليمن سبعة هم : محمد الصليحي ، وملكان من أيوبي اليمن ، ثم الملك المسعود ، ثم ثلاثة من ملوك بني رسول .

كما حج من ملوك الشام ثلاثة : نور الدين بن زنكي ، وعيسى بن العادل ، والناصر بن داود .

ولم يحج أحد من ملوك بني أيوب في مصر لانشغالهم بالجهاد ضد الصليبيين ، وقد ذكروا ان صلاح الدين الأيوبي أعد عدته للحج ، ولكن المنية عاجلته .

وحج من ملوك مصر الظاهر بيبرس ، والناصر محمد بن قلاوون ، والأشرف شعبان .

وتوسع القزويني في استقصاء أسماء الملوك الحجاج ، فذكر ان من حجاج ملوك بلاد التكرور : منسا بن ماري ، وساكبورة ، ومنسا بن موسى . وبلاد التكرور هذه يصح أن نطلقها اليوم على ممالك واسعة في جزء كبير من قارة افريقيا .

واذا تتبعنا رواة التاريخ ممن ذكرنا في صدر بحثنا ، وتابعناهم فيما يروون من قصص الخلفاء والملوك في الحج طالعتنا حوادث وقصص لها دهشتها .

فمما يروونه عن أبي عثمان الهندي انه قال «رأيت ابن الخطاب يرمي الجمرة وعليه ازار مرقوع بقطعة من أدم» .

ويروون عن علي بن أبي طالب انه قال : «رأيت عمر يطوف بالكعبة وعليه ازار فيه احدى وعشرون رقعة بعضها من أدم» .

وعن سعيد بن المسيب انه قال : حج عمر ، فلما كان بضجنان قال : «لا اله الا الله المعطي من شاء ما شاء ، كنت أرعى ابل الخطاب بهذا الوادي في مدرعة صوف ، وكان فظا يتعبني اذا عملت ، ويضربني اذا قصرت ، وقد أمسيت وليس بيني وبين الله أحد !!»

ويروي صاحب الأعشى ان معاوية حج فسأل عن امرأة من بني كنانة كانت تنزل الحجون يقال لها «الدارمية» ، فجيىء اليه بها ، وكانت سوداء مكتنزة اللحم ، فقال : ما حالك يا ابنة حام ؟ قالت : لست لحام أدعى ، انما أنا امرأة من كنانة . قال : صدقت .. أتدرين لم أرسلت اليك ؟ قالت : لا يعلم الغيب الا الله . قال : بعثت اليك لأسألك علام أحببت عليا وأبغضتني ؟ وواليته وعاديتني ؟ قالت : أوتعفني يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا أعفيك . قالت : أما اذا أبيت فاني أحببت عليا على عدله في الرعية وقسمه بالسوية ، وأبغضتك على قتالك من هو أولى بالأمر منك وطلبك ما ليس لك بحق . قال : ولذلك انتفخ بطنك وعظم ثدياك . قالت :



المسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة عند الغروب .

ان الصفا والمروة من شعائر الله .

يا هذا بهند كانت تضرب الأمثال ، لا بي ! !

قال : يا هذه أربعي . فانا لم نقل الا خيرا .

ثم قال : كيف رأيت عليا ؟ فقالت : رأيته لم يفتنه الملك الذي فتنك ، ولم تشغله النعمة التي شغلتك . قال : صدقت . فهل لك من حاجة .

قالت : وتفعل اذا سألتك ؟ قال : نعم ! قالت : تعطيني مائة ناقة حمراء فيها فحلها وراعيها .

قال : تصنعين بها ماذا ؟ قالت : أغذي بألبانها الصغار ، وأستحيي بها الكبار ، وأصلح بها بين العشائر . قال : فان أعطيتك ذلك ، فهل أحل عندك محل علي ؟ قالت : ماء ولا كصداء ، ومرعى ولا كالسعدان ، وفتى ولا كمالك . قال : يا سبحان الله أودنه ؟ ثم قال : أما والله لو كان علي ، ما كان أعطاك منها شيئا . قالت : والله ولا وبرة واحدة من مال المسلمين .

وورد عن الوليد بن عبد الملك انه حج ، ثم انتهى الى المدينة وكان قد أمر ببناء مسجدها ، فعن له أن يتفقد البناء ، فأخلي له المسجد حتى لم يبق فيه غير « سعيد بن المسيب » فلم يجسر أحد من الحرس أن يخرجه . فقيل له : لو قمت ؟ فقال : « لا أقوم حتى يأتي الوقت الذي كنت أقوم فيه » فقيل : لو سلّمت على أمير المؤمنين . قال : والله لا أقوم اليه .

قال عمر بن عبد العزيز : فجعلت أعدل بالوليد في ناحية المسجد لئلا يراه . فالتفت الوليد الى القبلة فقال : من ذلك الشيخ ؟ أهو سعيد ؟ قال عمر بن عبد العزيز : نعم ، ومن حاله كذا وكذا ، ولو علم بمكانك لقام فسلم عليك ، وهو ضعيف البصر . فقال الوليد : قد علمت حاله ، ونحن نأتيه . فدار في المسجد ، ثم أتاه ، فقال : كيف أنت أيها الشيخ ؟ فوالله ما تحرك سعيد ، بل قال : بخير والحمد لله .. فكيف أمير المؤمنين وكيف حاله . ثم لم يلبث أن انصرف الوليد وهو يقول لعمر : هذا بقية الناس ! !

وفي هذه السنة ، وعلى أثر ما شاهد الوليد وعثاء الطريق الى الحجاز ، كتب الى جميع البلاد باصلاح الطرق وعمل الآبار بطريق الحجاز .. ومنع المجذومين من الخروج على الناس ، وأجرى لهم الأرزاق .

ويذكرون عن الخليفة الرشيد انه حج فاستدعى الفضل بن الربيع ذات ليلة ليقول له : ويحك قد حاك في نفسي شيء فانظر لي رجلا أسأله . قال : ههنا الفضيل بن عياض . قال : امض بنا اليه . قال : فأتيناه فاذا هو قائم يصلي يتلو آية من القرآن يرددها . فقال : اقرع الباب . فقرعت الباب . فقال : من هذا ؟ قلت : أجب أمير المؤمنين . قال : مالي ولأمير المؤمنين . فقلت : سبحان الله ، أما عليك طاعته ؟ أليس قد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « ليس للمؤمن أن يذل نفسه » ؟ فنزل ففتح الباب ، ثم ارتقى الى الغرفة ، فأطفأ السراج ، ثم التجأ الى زاوية من زوايا البيت . فدخلنا فجعلنا نجول عليه بأيدينا ، فسبقت كف هرون اليه قبلي . فقال الفضيل : يا لها من كف

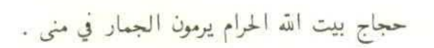


مقام ابراهيم الخليل عليه السلام ، وقد اقيمت عليه قبة من البلور



مدخل الحرم المكي وقد بدت على واجهته معالم التوسعة السعودية .

منظر جوي لمضارب الحجاج في منى ، ويبدو في الوسط مسجد « الخيف » .



حجاج بيت الله الحرام يرمون الجمار في منى .

ما ألينها ان نجت غدا من عذاب الله عز وجل. فقلت في نفسي ليكلمنه الليلة بكلام من قلب تقي .

قال هرون : خذ لما جئناك له — رحمك الله — فقال : ان عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة دعا من يعظه ، فكان مما قيل له : « ان أردت النجاة فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك ، واكره لهم ما تكره لنفسك ، ثم مت ان شئت » . فبكى هرون بكاء شديدا حتى غشي عليه . فقلت له : ارفق بأمير المؤمنين . قال : يا ابن الربيع تقتله أنت وأصحابك ، وأرفق به أنا .

فلما أفاق الرشيد ، قال : زدني رحمك الله . قال : يا محسن الوجه أنت الذي يسألك الله عن هذا الخلق يوم القيامة ، فاياك أن تصبح وتمسي وفي قلبك غش لأحد من رعيتك .

فبكى هرون . وقال له : عليك دين ؟ قال : نعم دين لربي لم يحاسبني عليه . قال : انما أعني دين العباد . قال ان ربي عز وجل لم يأمرني بهذا ، وانما أمرني أن أصدق وعده ، وأطيع أمره . فقال له : هذا ألف دينار خذها فانفقها على عيالك . فقال : سبحان الله أنا أدلك على طريق النجاة ، وأنت تكافئني بمثل هذا ؟ سلمك الله ووفقك . ثم صمت فلم يكلمنا ، فخرجنا من عنده .

وبخروجنا دخلت عليه امرأة من نسائه . فقالت : يا هذا قد ترى ما نحن فيه من ضيق فلو قبلت هذا المال فتفرجنا به . فقال لها : مثلي ومثلكم كمثل قوم كان لهم بعير يأكلون من كسبه ، فلما كبر نحروه فأكلوا لحمه . فلما سمع الرشيد هذا الكلام ، قال : ندخل فعسى أن يقبل المال . فلما علم الفضيل خرج ، فجلس في السطح على باب الغرفة ، فجاء هرون فجلس الى جانبه ، فجعل يكلمه فلا يجيبه ، فبينما نحن كذلك اذ خرجت جارية سوداء ، فقالت : يا هذا قد آذيت الشيخ منذ الليلة ، فانصرف رحمك الله . فانصرفنا .

ويذكرون عن الرشيد انه حج في بعض سنواته ماشيا من مكة الى منى فعرفات ، وشهد بقية المشاعر ماشيا . وانه كان يطوف بين المغرب والعشاء ثلاثة عشر أسبوعا ولا يطيق ذلك أحد ممن كان معه .

كما يذكرون ان زبيدة زوج الرشيد شهدت أكثر المشاعر ماشية ، وهي التي أمرت بجلب العين الى مكة ، وأنفقت مئات الألوف في سبيلها عندما رأت ما يقاسيه الأهالي والحجاج من قلة الماء .

ويذكرون عن صاحب اليمن الملك المسعود ، انه هاجم مكة في عام ٦١٩هـ ليمنع الدعاء على منبرها للعباسيين ويؤيده للأيوبيين في مصر ، وأنه ما لبث أن رجع الى اليمن بعد أن استتاب عليها أحد نوابه ، ثم عاد اليها بعد سنوات ليؤدي فريضة الحج ، فأصيب فيها بمرض الفالج الذي مات به . وقد قيل انه لما حضرته الوفاة لم تطب نفسه لما لديه من أموال ، وانه لذلك طلب الى فقير مغربي أن يتصدق عليه بما يكفي لكفنه .

والملك المسعود هذا هو أول من جعل مقام ابراهيم ثابتا في مكة ، وبنى عليه القبة التي أزيلت من عامين . وكان مقام ابراهيم قبله ربما نقل الى جوف الكعبة أو أحد أركان المسجد اذا ازدحم المسجد بالحجاج .

ويذكرون ان ملك مصر الظاهر بيبرس انسل من جيوشه في أحد الثغور سرا ليؤدي فريضة الحج ، فلما انتهى الى مكة لم يشعر بوصوله أحد ، لأنه اختلط بعامة الحجيج ، وشاهده بعضهم يوم غسل الكعبة يشارك العامة في غسلها ، ورمى اليه أكثر من واحد بأردية الاحرام ليغسلها لهم في ماء غسل الكعبة ، فكان يغسلها ويعيدها اليهم ، ليتسلم غيرها . وكان يعطي خاصته جملة أموال ليوزعوها في الناس سرا . وعندما شرع المختصون ينيطون بالكعبة كسوتها الجديدة شاركهم في أعمالهم دون أن يشعر به الا خواصه .

وحج الملك الناصر قلاوون في عام ٧١٩هـ ، فشارك في غسل الكعبة وتعليق ثوبها والاحسان الى أهلها . ومما ذكر عنه ان بدويا من الاعراب لجأ به في حاجة ، فامتدت يده الى لحية الملك — على عادة الاعراب — ليتوسل بها اليه ، فصرخ فيه أحد حراس الملك ليتأدب ، ويرفع يده ، فتبسم الملك ، وقال : هذه عادة العرب فلا ضير فيما فعل .

ومما يرويه المؤرخون ان أحمد بن اسماعيل ، ملك اليمن ، نوى الحج ، فكتب الى أمير مكة ، الشريف بركات ، يطلب اليه اخلاء عدة بيوت عيّنها بجوار المسجد ، وأن يتلقاه عند قرية حليّ ، فاستاء بركات لعنجهية الطلب ، فكتب اليه يقول :

بالقنـا الخطي والبيـض الظبـا
وبخيــل تتبــارى سرّبــا
وبأبطــال اذا مــا استعــرت
نــار حــرب ولظـاها التهبا
نحمي ذا البيت ونحمـي جدة
وربـا حـلّـيٍ وأكنـاف قبـا

الى أن يقول :

قـل لمن رام ينـاوينـا ومـن
رام يـأتـي بيتنـا مغتصبا
لا يحـج البيت الا خـاضعا
دافعـا عشرا لنـا ثم جبـا

فلما انتهت الى ملك اليمن تخلف عن الحج ، وأضمر الشر لبركات بصورة كان لها ما بعدها مما لسنا بصدده هنا .

وكان من عادة ملوك الاسلام وسلاطينهم في أكثر أقطارهم أن يأمروا بالنداء للحج ابتداء من غرة رجب ، فتقام الاحتفالات وترفع الرايات ، وتنصب الزينات . وعندما ابتدعت عادة المحمل في عصر المماليك كانوا يحتفلون بخروجه في مصر والشام ، وأحيانا في اليمن ، ليمر بشوارع المدينة ، ويقف في ساحاتها ، يحف بموكبه أصحاب الطبول والمزامير ، ويتقدمه أصحاب المراتب الرسمية .

فاذا بدأ الاستعداد لمسيرة القوافل شرع المرتبون لها يعدون ما يلزم للمسيرة الطويلة .. كانوا يعنون أكثر ما يعنون باحمال الدقيق ، والبقسماط ، والروايا ، والقرب ، والأشربة . واذا حج الأمير أو السلطان عين العربان المتوجهين معه والقادة المحافظين عليه ، وأمر بترتيب المنازل على طول الطريق الذي يسلكه الى مكة وخصص لها من يقوم عليها في انتظار وصوله ، وربما كلف الخولة ليهيئوا أحواضا من خشب تزرع فيها المباقل والخضروات والرياحين والمشمومات ، فتحمل عـلى الجمـال وتسقـى طـول الطريق للانتفاع بها . كما يكلف الخبازون والقلاوؤن وصنـاع (الكماج) والحلـوى أن يجهزوا أفـرانهم للسفر ، ويعـدوا أدواتهم .

وعندما حج الملك الناصر قلاوون جهز من الشام خمسمائة جمل تحمل الحلوى والسكردانات التي تحفظها وجملة كبيرة من الفواكه التي لا يسرع اليها العطب ، كما جهز ثمانين جملا لحمل ما يحتاج اليه المطبخ . وكانت تحمل فيما تحمل ثلاثة آلاف دجاجة وألف طائر وعشرات القدور ، وصحبه الى الحج خمسون

أميرا ، وكان كل أمير يقود نحو المائة يتسلم نفقاتهم وأعلاف دوابهم ، قبل أن يبدأ رحلته في موكب الملك .

وكان المنفق على الموسم ينظم بنوده قبل الرحيل ، لتتسع للصدقات والاعانات ومرتبات العربان في طريق السير وحفر الآبار اذا أعوزهم الأمر ، وتوزيع ما يجب توزيعه على فقراء الحرمين وأصحاب الرواتب المفروضة في سجلات القصر الملكي أو بيوت المال .

وبنى لبعضهم القصور في الطريق الى مكة لينزلوها ، واتخذوا لها المصانع ، وزرعوا حولها ما ينفعهم كزاد للطريق الطويل .

وكان الطريق الى مكة يبدو أكثر طولا وأشد مشقة لعوام الحجاج . فقد كانت أكثر أقطارهم تفد الى مصر .. يفدون اليها من افريقيا والأندلس والمغرب برا أو بحرا في طريق شاقة ، كما يفدون الى الشام من بلاد الترك والقوقاز وبخاري والقرم وشمال روسيا وسيبيريا وجزائر البحر الأبيض ، ثم ينحدرون من الشام الى مصر ليستأنفوا منها ارهاقا جديدا .

وكان يتجه بعضهم الى السويس ، حيث تقلهم المراكب الشراعية الى جدة ، ويمضي الكثيرون مصعدين في الصعيد الى « قوص » برا ، أو من طريق النيل ، ويستغرق ذلك نحو عشرين يوما ، ثم يتجهون الى « عيذاب » أو « القصير » في أعلى الصعيد على شاطىء البحر الأحمر ، حيث ينتظرون المراكب التي تقلهم الى جدة . وقد يستغرق انتظارهم في الميناء نحو شهر ، كما يستغرقهم السفر منها الى جدة عشرة أيام .

وكانوا يستقلون مراكب غير محكمة ، وأشرعتها من حصير ، وأصحابها يتعسفون في معاملة الحجاج ، ويشحنون فيها أكثر من حمولتها ، ولذلك كانوا يتعرضون لأخطار البحر ، كما ان بعض المراكب كانت تغرق بالفعل .

وكان بعض عرب البجاة يتولون نقل الحجاج في صحراء الصعيد فوق جمالهم وفي البحر الى جدة على مراكبهم الشراعية ، وكانوا يرهقون الحجاج باستغلالهم ، وربما عرضوهم للطريق المعطش ليموتوا ، فيستولوا على متاعهم .

اذا قيس هذا بمواصلات اليوم الميسرة وأمانها المطمئن تعين الشكر لله على نعمه وحسن توفيقه ■



حجاج بيت الله الحرام في ساحة الغفران يوم الوقوف بعرفة يرجون المغفرة والرحمة والرضوان .



يجد الحجاج متنفسا بين المتنزهات في جدة وغيرها من مدن المملكة العربية السعودية .

ثمرة التجارب وعبرة الأيام في شعر



بقلم الاستاذ محمود الشرقاوي

يقول المتنبي :

ليت الحوادث باعتني الذي أخذت
مني بحلمي الذي أعطت وتجريبي
فما الحداثة من حلم بمانعة
قد يوجد الحلم في الشبان والشيب

وعندما سمع زئير الأسود وهو في طريقه بالشام وخاف منها على حياته قال هذه الأبيات يتحدث فيها الى الأسود يعرض عليها أن يقوم بينهما « حلف » فيه خير لها وله :

فهل لك في حلف على ما أريده
فاني بأسباب المعيشة أعلم
اذا لأتاك الرزق من كل وجهة
وأثريت مما تغنمين واغنم

فالمتنبي رجل خبر الأيام وذاق حلوها ومرها ومرت به من تجاربها ما يجعله أهلا لأن يستمع له الناس ويفيدوا من تجاربه .

ومن الطبيعي أن تقع « للمتنبي » تجارب كثيرة ، فقد جاب الأقطار وطوّف في الأرض ، وقرأ شعر العرب وعرف أيامهم ، وجلس الى الملوك ومدحهم وأنشدهم ، وشارك في حروب « سيف الدولة » خاصة ، وخالط أهل الأدب واللغة والبادية ، وخاصم شعراء عصره وتحداهم .

ومن الطبيعي أيضا أن يضمّن المتنبي كثيرا من شعره ثمرات هذه التجارب التي يحسن بالناس أن يعتبروا بها وأن يفيدوا منها .

وليس هذا الذي نعرض اليه في هذا المقام هو كل ما حصل عليه « المتنبي » من ثمرة التجارب وعبرة الأيام ، وانما هي نماذج نجد من أمثالها شيئا كثيرا في شعره .

فما هي تجارب الحياة وعبرة الأيام التي خرج المتنبي بعبرتها حتى يقول انه عرف الأيام معرفة لم يعرفها غيره ، وانه أعلم بأسباب المعيشة من غيره حتى يدعو الأسود الى حلفه فيفيد من قوتها وتفيد من تجاربه وحكمته :

ومن عرف الأيام معرفتي بها
وبالناس روّى رمحه غير راحم
فليس بمرحوم اذا ظفروا به
ولا في الردى الجاري عليهم بآثم

ومن ثمرات التجارب التي خرج بها المتنبي من عبرة أيامه ألا يقبل الانسان الضيم ولا يستكين للظلم ، وخير له أن يعيش عزيزا أو أن يموت كريما ، وعليه أن يثب الى غايته واثقا بالله ، ويرى الموت في شرف الوغى — اذا اقتضى الأمر ذلك — حلو المذاق كأنه شهد العسل :

والاّ تمت تحت السيوف مكرّما
تمت وتقاس الذل غير مكرم
فثب واثقا بالله وثبة ماجد
يرى الموت في الهيجا جنى النحل في الفم

وفي ذلك يقول أيضا :

عش عزيزا أو مت وأنت كريم
بين طعن القنا وخفق البنود
فرؤوس الرماح أذهب للغيـ
ـظ وأشفى لغل صدر الحقود

والمتنبي يصيغ هذا المعنى في صيغ كثيرة ويقدمه للناس ثمرة من ثمرات تجاربه ، من ذلك أبياته المشهورة التي يقول فيها ان ملاقاة الموت أيسر من ملاقاة الذل . وان الحياة لو انها كانت باقية لكان أسوأ الناس رأيا هم الشجعان الذين يفرّطون في حياتهم ، واذا كان لا بد من الموت عاجلا أو آجلا فان الجبن عندئذ ضرب من العجز . وان كل شيء لم يقع للانسان فهو مخوف له صعب على نفسه ، ولكنه عندما يقع يكون سهلا ، وكذلك الموت :

غير أن الفتى يلاقي المنايا
كالحات ولا يلاقي الهوانا
ولو أن الحياة تبقى لحي
لعددنا أضلّنا الشجعانا
واذا لم يكن من الموت بد
فمن العجز أن تكون جبانا
كل من لم يكن من الصعب في الا
نفس سهل فيها اذا هو كانا

وعبرة الأيام علمت المتنبي أن : (خير الأمور الوسط) كما يقول المثل القديم ، فقليل الحب مع التعقل أفضل وأصلح من كثير الحب مع التسرع والجهل :

فان قليل الحب بالعقل صالح
وان كثير الحب بالجهل فاسد

وعلمته أن مسايرة الانسان لطبعه وجبلته التي خلقه الله عليها مجلبة للنجاح ، ولكن التصنع مجلبة للفشل :

أبلغ ما يطلب النجاح به الطـ
ـبع ، وعند التعمق الزلل

ومن الثمرات التي جناها المتنبي من عبر الأيام امتناعه على العار واباؤه له وثورته عليه ، ولا يستطيع الرجل الكريم أن يقبل على نفسه المعرة التي تمض حياته وتنغص عيشه وتضنيه . ومن خاف ذكر الناس له بالعار لم يخش الموت . كما يقول المثل العربي القديم : من أنف من الدنية ، لم يحجم عن المنية :

والعار مضّاض وليس بخائف
من حتفه من خاف مما قيلا

والتجربة علمت المتنبي أن الحلم والصبر لا بد منهما للنجاح ، ولكن — مع هذا الحلم — اصطناع الحلم واليسر والكرم في موقف يتطلب القوة ، فيه من الاخلال بالمجد ما لمثل عكسه من اصطناع القوة في موضع الكرم والحلم :

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا
مضر ، كوضع السيف في موضع الندى

والتجربة جعلت المتنبي ينصح بشيء غير قليل من الأنانية والحذر وسوء الظن بالناس ، فلا يعوّل على الكلام المعسول والتجمّل في التحية :

خليلك : أنت ، لا من قلت : خلّي
وان كثر التجمّل والكلام

والصديق الحق من أحبك بقلبه ، ورأى الأمر من حيث تراه أنت :

مـا الخل الا مـن أودّ بقلبـه
وأرى بطـرف لا يرى بسوائـه

وعبرة الأيام علّمت المتنبي أن الشجاعة خلق لا بد منه للمجد . ولكن الرأي والتدبير لا بد منه قبل الشجاعة :

الـرأي قبـل شجاعـة الشجعان
هـو أول وهي المحـل الثـاني

وكذلك علمته أن العزة شيء يجب أن يحرص عليه دائما من يريد أن يعيش عزيزا . وأن من تهاون شيئا في عزته وكرامة نفسه انتهى به الأمر الى الهوان المطلق ولا يحس بعد ذلك بالمذلّة . وهو في ذلك مثل الميت الذي لا يؤلمه جرحه :

مـن يهن يسهل الهـوان عليـه
مـا لجـرح بميّـت ايـلام

وكذلك تعلم المتنبي من عبر الأيام أن الحياة لا تصفو لأحد وأن فيها أنكادا لا بد أن يلقاها الانسان الكريم كأن يجد بعض أعدائه يعرف عداوتهم له، ولكن الضرورة تحتم عليه أن يصادقهم ويتودّد اليهم :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يـرى
عـدوا لـه ما من صداقته بـدّ

كما علمته التجارب أن سفك الدمع ليس دليلا على صدق الحزن والوجيعة ، وكذلك العكس :

فـربّ كئيـب ليس تندى جفونه
وربّ كثير الدمـع غير كئيـب

وأن كثيرين من الناس لهم مظهر يروق ، ولكنهم يخفون مخبرا يقبض النفس . وهو في ذلك ينصح ممدوحه « سيف الدولة » ألا ينخدع بهذا المظهر ، وأن ينتفع ببصيرته وبصره في التمييز بين المخادعين والصادقين :

أعيذهـا نظرات منك صادقـة
أن تحسب الشّحم فيمن شحمه ورم
وما انتفاع أخي الدنيـا بناظـره
اذا استوت عنـده الأنوار والظلم

ولكن عبرة الأيام وثمرة التجارب جعلت المتنبي مع منغصات الحياة ومتناقضاتها . لا يملّ الحياة كما لا يملها الناس . فهي عنده حلوة لا تمل ولا يزهد فيها أحد . واذا كان الانسان في شيخوخته يملّها ويزهدها حتى يقول « أف » للحياة منها ، فان ذلك الشيخ لا يمل الحياة ولا يكرهها . بل يكره ما يلقي من الوهن والضعف :

ولـذيـذ الحيـاة أنفس للنفـ
ـس وأشهى من أن يمـل وأحلى
واذا الشيخ قـال « أف » فما ملـ
ـل حياة ، وانما الضعف مـلاّ

آلـة العيش صحـة وشـبـاب
فـاذا ولّيا عـن المرء ولـىّ

وقد خلق الله الانسان وزرع في نفسه حب الحياة والحرص عليها . ويستوى في ذلك الشجاع الذي يواجه الخطر . فهذا حبه لحياة المجد جعله يعرض نفسه للموت لينال حسن الذكر . ويستوي فيه الجبان الذي يخشى المخاطر ويتجنبها حرصا على الحياة :

أرى كلّنا يبغى الحيـاة بسعيـه
حريصا عليها ، مستهاماً بها ، صبّا
فحب الجبـان النفس أورده التّقى
وحب الشجاع النفس أورده الحربـا

ومن ثمرات التجربة عند المتنبي ألا يغالي الانسان في قيمة نفسه فيضعها فوق موضعها . فان من لم يعرف قيمة نفسه على حقيقتها وضعه الناس في موضع أقل من حقيقته :

ومـن جهلـت نـفسه قـدره
رأى غـيره منـه ما لا يـرى

وألا يغالي في قيمة غيره فيضع بعض الناس في موضع من الكرامة ليسوا أهلا له . فان اكرامك لكريم النفس يجعله مخلصا كأنه مملوك لك . ولكن اكرام اللئيم يفسده :

اذا أنت أكرمت الكـريم ملكته
وان أنت أكـرمت اللئيم تمرّدا

ومن الخطأ أن يستسلم الحزين المفجوع بفقد عزيز عليه ، وتجارب الحيـاة جعلت للمتنبي في ذلك نظرة صادقة تريح النفس . فان داء الموت ليس له دواء ، ولو أن الأحياء الذين سبقونا الى الدنيا بقوا فيها كما يتمنى كل انسان لمن هو عزيز عليه — فان الأرض عندئذ تضيق بأهلها ولا تسعهم رائحين أو غادين ، فلو أن الناس لا يدركهم الموت ، وعرفوا أن الحياة باقية لهم لما أقدم أحد على فضل أو كرم أو شجاعة ، فهذه الفضائل هي التي تبقى وتمجد صاحبها وتميزه بحسن الذكر عن غيره بعد الموت :

وقد فارق النـاس الأحبّـة قبلنـا
وأعيـا دواء الموت كـل طبيـب
سبقنا الى الدنيـا ، فلو عاش أهلها
منعنـا بها من جيئـة وذهـوب
تملّكها الآتـي تملّك سالب
وفـارقها الماضي فـراق سليـب
ولا فضل فيهـا للشجاعـة والندى
وصبر الفتى ، لـولا لقـاء شعوب

وهذه الفضائل وما يجد صاحبها من المشقة والتحمل والبذل هي التي تجعل الرجل الفاضل ذا شأن ورفعة وعز وجاه بين الناس :

لـولا المشقـة ساد النـاس كلهم
الجـود يفقـر والاقـدام قتـال

والمتنبي في حرصه على المجد وشرف الحياة ، لا يريد لأحد أن يكون حريصا على مكان اذا لم يجد فيه الصديق المخلص ، ويكسب فيه كرامة النفس والحمد ، بعيدا عما يعيبه ويشينه :

وكـل امرىء يولي الجميل محبّب
وكل مكان ينبـت العزّ طيب

وعبرة الأيام علمت المتنبي أن يحرص على المال ، حتى عند بذله في سبيل المجد والمكرمات ، فالمال لا بد منه في الابقاء على المجد ، وعلى الماجد العاقل أن يدبر ماله تدبير من يمسك المجد بكفه ويعرف أن المال زنده الذي تقوى به يده :

فلا ينحلل في المجـد مالك كلّـه
فينحل مجـد كـان بالمال عقده
ودبّره تدبير الـذي المجد كفّـه
اذا حارب الاعـداء والمـال زنـده
فـلا مجد في الدنيا لمن قل مالـه
ولا مـال في الدنيا لمن قل مجـده

ويوصي المتنبي لمن لا يملك مالا يهديه أن يلقى الناس بوجه حسن وكلام لين حتى يكسب مودّتهم :

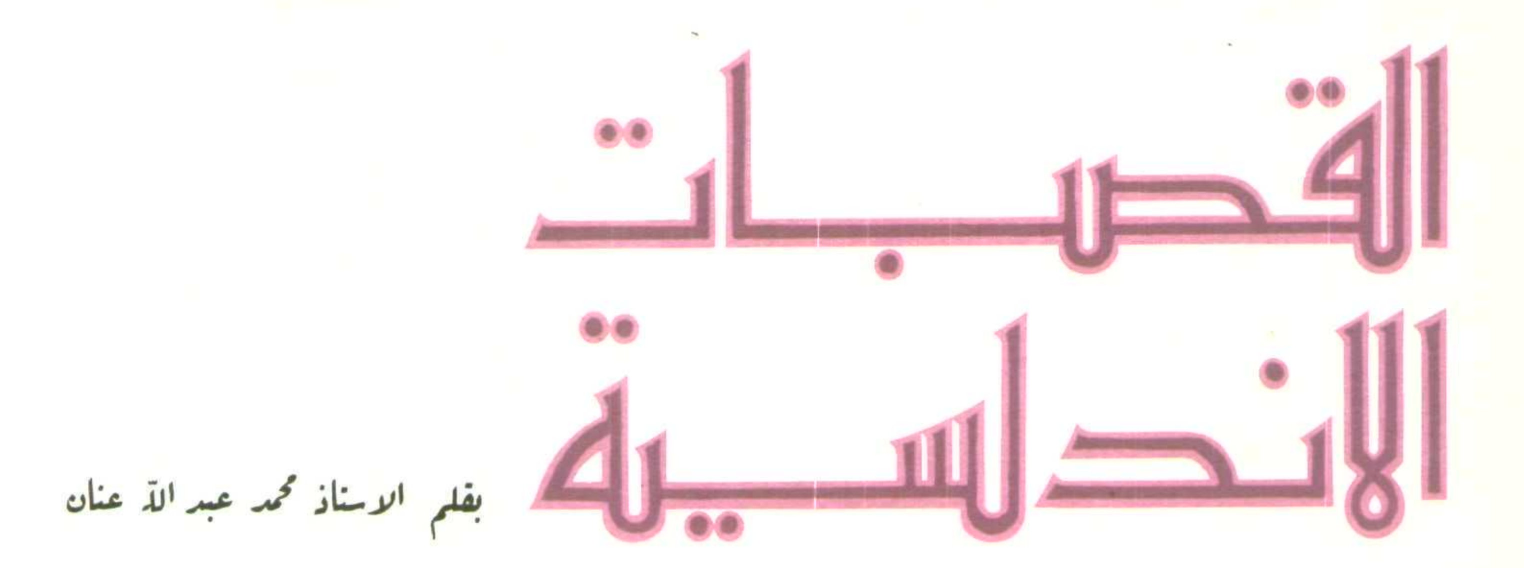
لا خيل عندك تهديهـا ولا مـال
فليسعد النطق ان لم تسعـد الحـال

والمتنبي حريص على المجد ، والمجد عنده ليس ما يراه بعض المخدوعين الأغرار من النعيم والمتاع ورغد العيش ، بل المجد في السيف والحرب ومصاولة الرجال بالجيوش الجـرارة وضرب أعناق الأعداء ، وأن تترك في الدنيـا دويّا وذكرا عاليا كأن أناملك العشر تتداول الدق على أذنيك :

ولا تحسبنّ المجـد زقاّ وقينـة
فما المجـد الا السيف والفتكة البكر
وتضريب أعنـاق الرجال وأن ترى
لك الهبـوات السود والعسكر المجر
وتركك في الدنيا دويّا كـأنمـا
تداول سمع المـرء أنملـه العشر

ومن الطبيعي أن يخرج المتنبي في سبيل سعيه للمجد بثمرة من التجارب وهي ان أول ما يحرص عليه طالب المجد أمران : الشجاعة والعلم ، حيث يقول :

أعزّ مكـان في الدنى سرج سابح
وخير جليس في الزمـان كتـاب ■



القصبات الاندلسية

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان

واجهة قلعة « بني حمود » الخارجية .

تمثّل القصبات الأندلسية أكبر مجموعة من التراث الأثري لأسبانيا المسلمة ، فما من قاعدة قديمة من قواعد الأندلس ، الا وتحتفظ حتى اليوم باطلال القصبة الأندلسية . وقد تكون هذه الاطلال في حالة جيدة من الحفظ والتنسيق ، وتحتوي على أبراج وأبهاء وأمكنة كاملة ، كما هو الشأن في قصبات ، ألمرية ومالقة وجيان وبطليوس وشاطبة . وقد تكون اطلالا دراسة ليس بها سوى آثار خربة ، ولكنها تنم في معظم الأحيان عن ضخامتها ومنعتها .

ولنبدأ بتعريف القصبة الأندلسية . فهي مقر حاكم المدينة ومعاونيه العسكريين ، ومقر الحامية المحلية ، وتحوي على الأغلب قصرا لسكنى الحاكم ، ومسجدا للصلاة ، وثكنات للجند . ويتخذ بناء القصبة صورة قلعة حصينة ، ذات أسوار وأبراج منيعة ، وتشيد فوق ربوة عالية ، تحتل مكانها في أعلى تل أو جبل يشرف على المدينة اشرافا تاما ، ويزيد في منعتها وحمايتها من هجمات العدو الطارئة . لذلك فان معظم القصبات الأندلسية تحتل الجبال والرّبى العالية . وتربض أطلال هذه القصبات حتى اليوم في أماكنها الوعرة القديمة ، لا تكاد تصل اليها الا بشق النفس ، بواسطة طرق ضيقة منحدرة .

نكتفي بالحديث هنا عن قصبتين من القصبات الأندلسية الأثرية ، هما قصبة المرية ، وقصبة مالقة ، وكلتاهما نموذج مثالي للقصبة الأندلسية من حيث الضخامة والمناعة والروعة ، وقد لعبتا دورا عظيما في تاريخ المدينة في عهدها الاسلامي .



منظر داخلي لحدائق قصبة المرية وأسوارها الخارجية وقد اتسمت بطابع التنسيق والتجميل .

قصبة المرية

وهي تعتبر ، بعد قصبة الحمراء ، أعظم القصبات الأندلسية الباقية ، كما تعتبر من أجمل الثغور الاسبانية ، وتقع في جنوبي اسبانيا على شاطيء البحر المتوسط ، وفي مواجهتها من ناحية المغرب ، تقع وهران وتلمسان . وقد كانت في عهدها الاسلامي أعظم ثغور الأندلس الجنوبية ، بل أعظم مرسى للأسطول الأندلسي في عرض البحر الأبيض المتوسط . وكانت أيام الطوائف حاضرة لمملكة مستقلة في ظل الفتيين العامريين « خيران » و « زهير » (١٠٠٤ — ١٠٣٨م) ، ثم كانت بعد ذلك حاضرة لمملكة بني صمادح (١٠٤١م — ١٠٩١م) . وتحتل المرية في تاريخ الأندلس الأدبي مكانة خاصة لكثرة ما أنجبته من أكابر العلماء والأدب .



منظر عام لقصبة المرية تتوسطها الأشجار الشاهقة .

وما تزال المرية تحتفظ بقسط كبير من ملامحها الأندلسية ، وهي تكاد تشبه في ذلك غرناطة واشبيلية ، وتحتفظ مثلهما ، بأثر من أعظم الآثار الأندلسية الباقية ، هو اطلال القصر والقلعة القديمة المسماة « بالقصبة » .

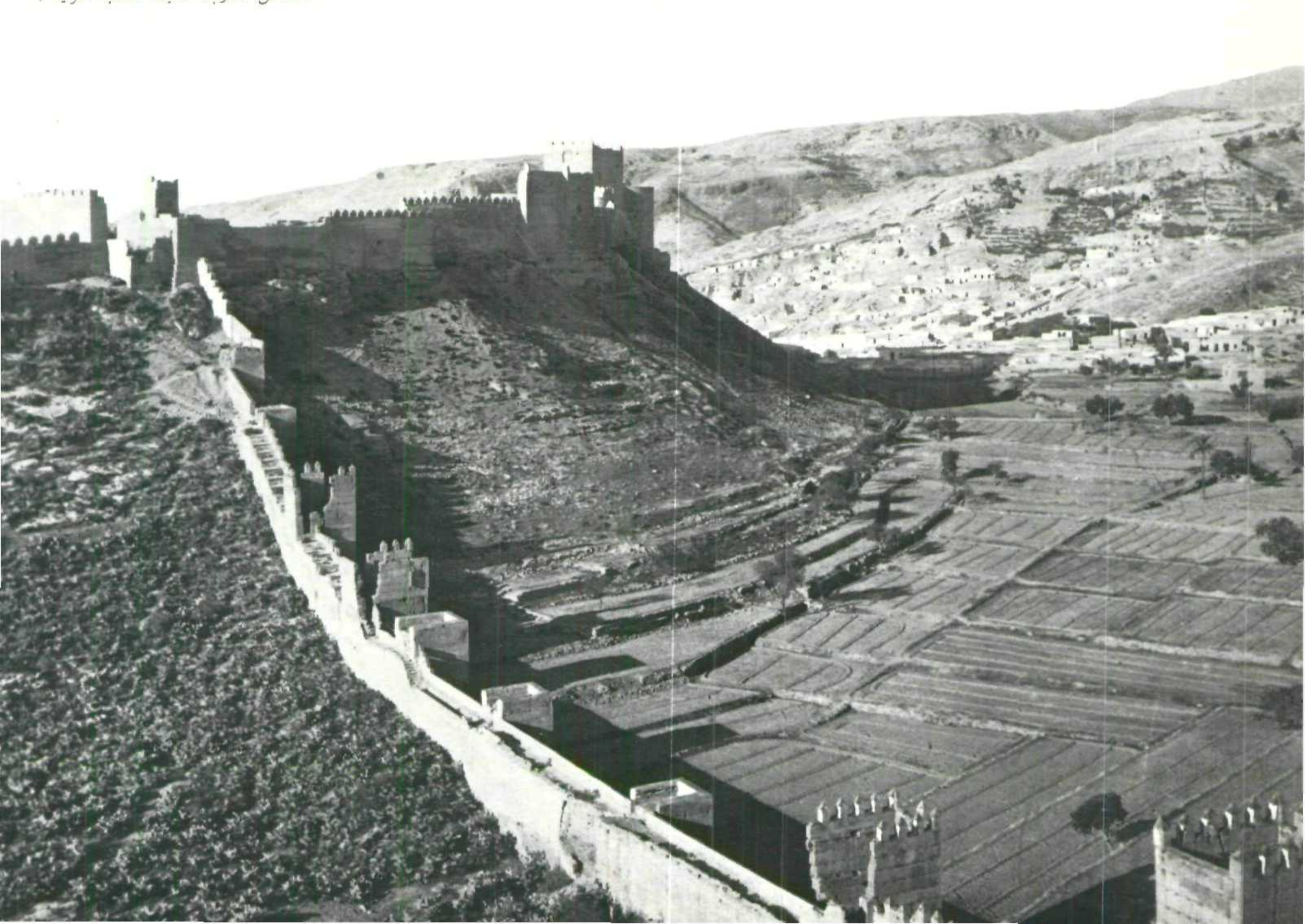
وتحتل قصبة المرية ربوة صخرية ضخمة شاهقة الارتفاع ، تقع شمالي المدينة في طرف جبل غدر ، على مقربة من مصب نهر اندرش الصغير ، وقد اشتهرت هذه القصبة أيام الطوائف بضخامتها ومنعتها . وقد قام باصلاحها وتوسعتها الفتى العامري « خيران » وهو أول من حكم المرية عقب انهيار الخلافة الأموية . وغدت عندئذ من أعظم القصبات الأندلسية ، وكانت لذلك تسمى قلعة « خيران » . ويمكننا أن نقدر ضخامتها متى علمنا انها تشغل مسطحا يبلغ طوله من الشرق الى الغرب ٥٣٠ مترا . وقد بقيت منها أجزاء كبيرة من الأسوار الأصلية ، والبرج الرئيسي ، وعدد آخر من الأبراج الصغيرة ، وتحتوي على عدة أفنية كبيرة متدرجة الارتفاع . وقد جدد هذا القسم أيام الملكين الكاثوليكيين ، عقب سقوط المدينة في أيدي القشتاليين سنة ١٤٩٠م .

وتقع وراء البرج الرئيسي ساحة كبيرة بها بقايا أسس لبناء أو قصر كبير ، تضم غرفا وأبهاء عديدة . ويبدو أنه كان مقر سكن الأمير أو الحاكم في وقت من الأوقات . ويرى بعض الأثريين الاسبان أن هذه البقايا انما هي اطلال قصر « عبد العزيز المنصور » أمير « بلنسية » الذي حكم المرية وقتا قصيرا ، على اثر مصرع صاحبها الفتى العامري زهير في سنة ١٠٣٨م . ومن ثم فان الشارع الذي تشرف عليه القصبة يسمى اليوم « شارع المنصور » .

وقد غرست في فناء القصبة الكبير ، وهو الفناء الأول السفلي ، الأشجار والخضرة اليانعة ، ونسقت فيه حديقة جميلة متصاعدة ، تضم شجيرات مما ينبت في التربة الوعرة ، وشقت خلالها السلالم المتدرجة ، يصعد منها الى الطبقة العليا ، وقد كان هذا القسم أيضا هو موقع الحديقة القديمة ، وتوجد الى جانب هذه المجموعة الكبيرة من أطلال القصبة ، مجموعة أخرى أصغر منها . وتقع في شمالها على ربوة عالية منفصلة عنها وبها خمسة أبراج صغيرة ، وما تزال توجد ثمة من أسوار قصبة المرية القديمة ، أجزاء كبيرة ، وهي في حالة جيدة من الحفظ ، وتبدو مشارفها جميعا متصلة منسقة ، وقد أجريت في الأطلال كلها أعمال التجديد ، وأضفت عليها رونقا ورواء .

ويقع وراء هذه المجموعة الكبيرة من الأطلال من الناحية الشمالية ، بقية من أبراج وأسوار سفلية ، تصل بينها وبين القسم الآخر المواجه لها ، مما يدل على أن القسمين كانا في الماضي متصلين ، وانهما كانا يؤلفان معا جبهة دفاعية منيعة ، وانه لمن الشائق أن يلقي السائح المتجول من أعلى القصبة نظرة على المرية الجميلة ، فتبدو أمامه بشوارعها المنسقة التي تزين جوانبها أشجار النخيل ، وبمنازلها الجميلة الوضاءة في شكل بيضاوي ، ومن وراء ضلعها الكبير ، بسيط أخضر يليه البحر بمياهه الزرقاء الهادئة . وانه حقا لمنظر رائع يبعث البهجة والنشوة في النفوس .

الحدائق المدرجة التابعة لقصبة المرية .



قصبة مالقة

وهي لا تقل جمالا وروعة عن المرية ، سواء بموقعها في الطرف الآخر ، على البحر المتوسط ، أو بخططها الجميلة المنسقة ، كما لا تقل عنها عراقة من حيث تاريخها الأندلسي وكثرة علمائها الأعلام .

وهي تمتاز بضخامتها وتباين محتوياتها ، من حيث العصور والطراز ، ولا سيما بعد أعمال الاصلاح الكبيرة التي أجريت بها وانتهت بابراز معالمها المعمارية والتاريخية بصورة أخاذة .

وتقع قصبة مالقة على منحدر صخري قريب من البحر ، يتجه الى الصعود حتى يشرف على المدينة كلها . ولهذه القصبة تاريخ طويل حافل . وترجع اطلالها الأثرية الحالية الى عهود مختلفة . وقد كان بنو حمّود ، حينما أقاموا ملكهم بها في أوائل القرن الخامس الهجري ، هم أول من عني بتجديدها ، وبالأخص «حسن بن يحيى بن حمّود المستنصر» ، الذي ولي العرش سنة ٤٣١هـ (١٠٣٩م) ، وكانت القصبة عندئذ تضم قصر الأمير .

على أن قصبة مالقة تدين بضخامتها ومنعتها «لباديس بن حبّوس» ملك غرناطة البربري أيام الطوائف لأنه انتزعها من الحمّوديين في سنة ٤٤٩هـ (١٠٥٧م) ، وجددها تجديدا شاملا ووسع منشآتها ، حتى غدت من أعظم القصبات الأندلسية .

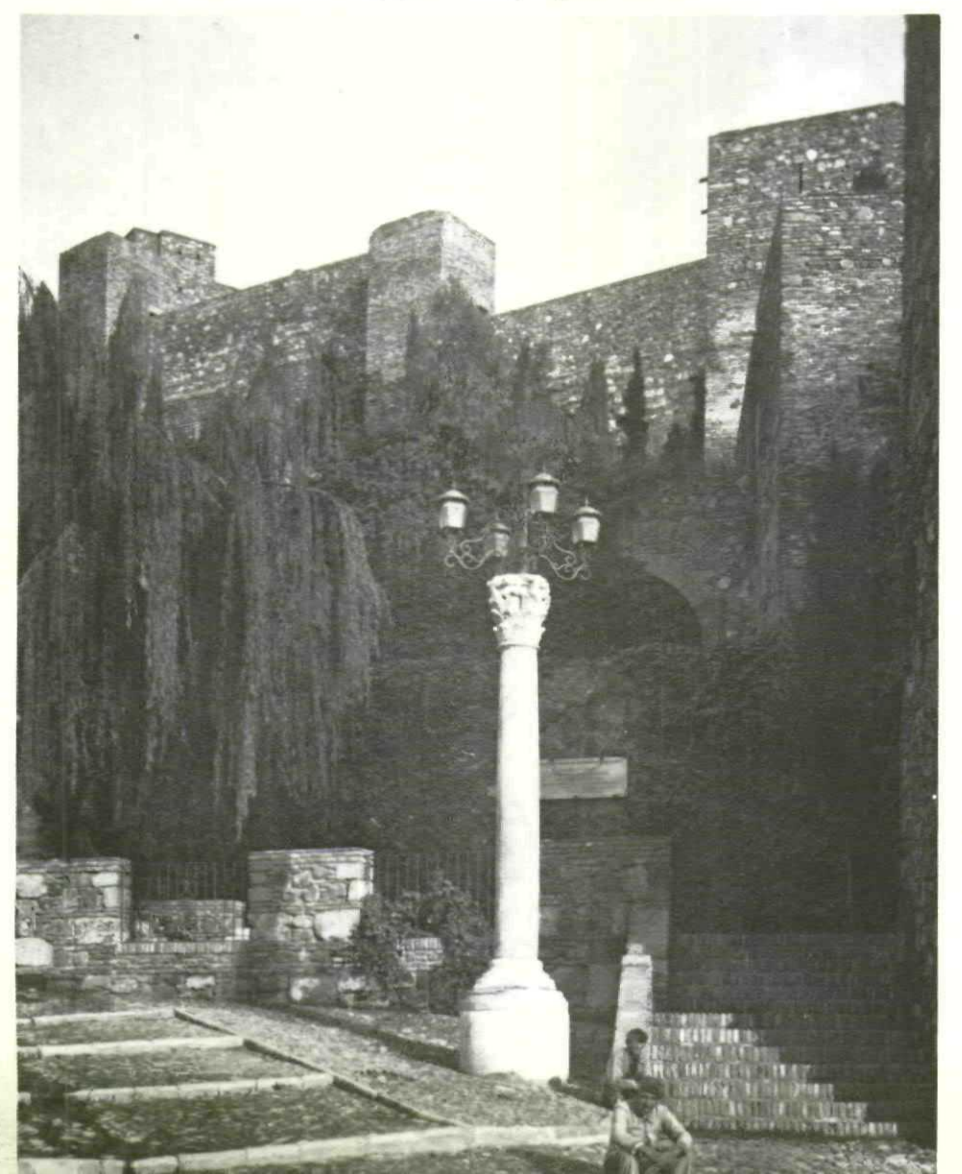
ثم توالت على قصبة مالقة من ذلك العهد تغييرات وتجديدات كثيرة ، وجددت وأصلحت غير مرة على يد سلاطين غرناطة . وذلك في أواخر القرن الثالث عشر ، وخلال القرن الرابع عشر للميلاد . ولبثت طوال عهدها من أكبر القصبات الأندلسية وأكثرها منعة . ومما هو جدير بالذكر أنه لدى حصارها الأخير على يد الملكين الكاثوليكيين في سنة ١٤٨٧م ، قد أبلت في الدفاع عن المدينة خير البلاء .

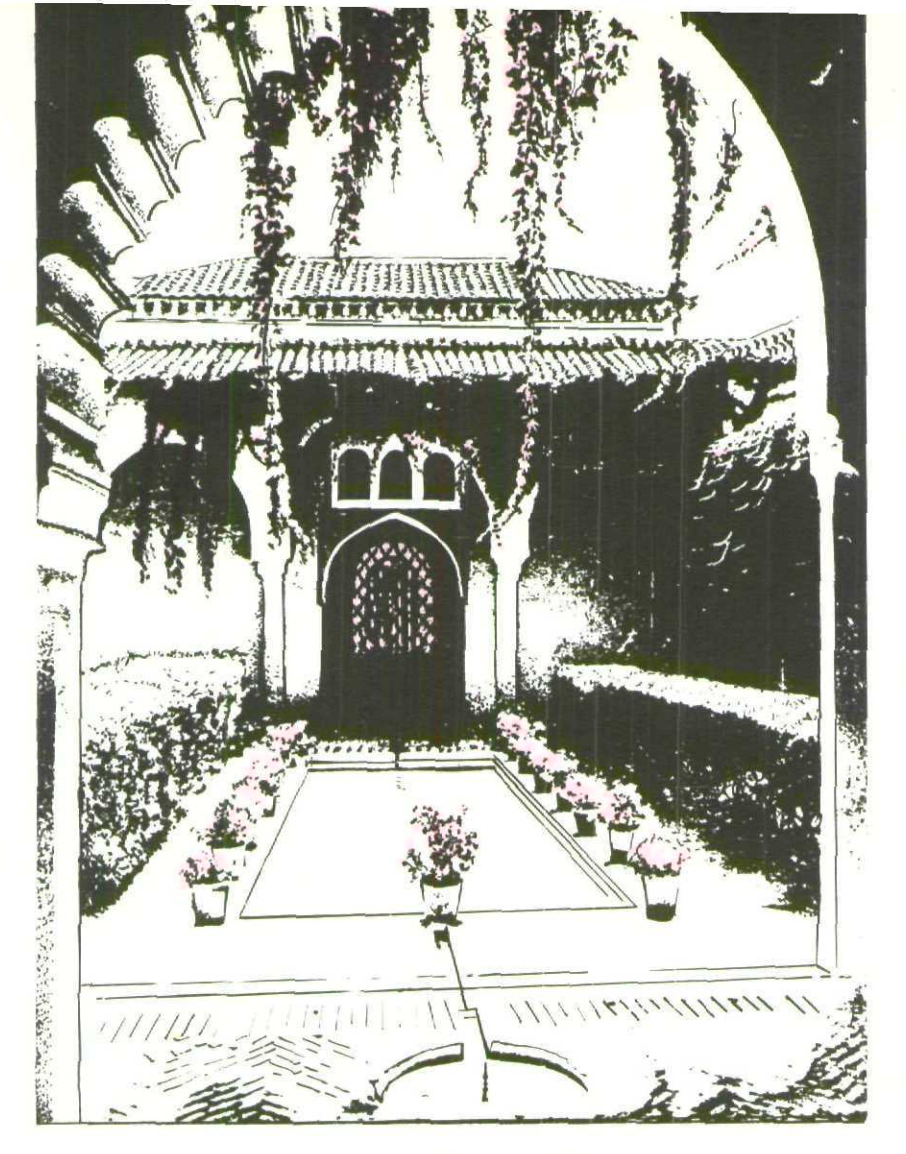
وتشغل أطلال قصبة مالقة رقعة شاسعة تدل على سابق ضخامتها ، كما تدل بوعورتها ومتانة أسوارها وخرائبها على سابق منعتها ، وتمثل هذه الأطلال الباقية عهودا وطرازات مختلفة . ولا يوجد اليوم من أبنيتها القديمة منذ أيام الملك «باديس» ، سوى بقية تقع في ناحيتها الشمالية . أما سائر مبانيها الواقعة في الناحيتين الشرقية والجنوبية ، فكلها لاحقة لهذا العهد ، ويوجد في مدخلها عدة أبواب ذات عقود عربية .



بعض أبراج قصبة المرية الحصينة .

مدخل قصبة مالقة التاريخية .





بهو قلعة بني حمود داخل قصبة مالقة .

وقد أسفرت أعمال الحفر والتنقيب ، التي أجريت بقصبة مالقة بين سنتي ١٩٣٤ و ١٩٣٦ ، عن الكشف عن مجموعة جديدة من الأبنية التي يرجع بعضها الى العصر الحمودي ، والبعض الآخر الى العصر الغرناطي ، وتقع هذه المباني في الجزء الأعلى من القصبة . وهي تضم مجموعتين ، تقع الأولى بعد باب المدخل مباشرة ، وهي التي يطلق عليها « الأجنحة الغرناطية » وهو حسبما يبدو قصر القصبة . وتقع الثانية في الناحية الشرقية وهي عبارة عن أبنية سكنية ذات حمامات . وتدل مباني المجموعة الأولى وزخارفها على أنها ترجع الى العصر الغرناطي ، أي الى أواخر القرن الثالث عشر أو القرن الرابع عشر للميلاد ، وانه قد استعملت في اقامتها بعض أنقاض مباني « باديس » التي أقيمت في القرن الحادي عشر الميلادي . ويوجد الى جانب هذه المجموعة متحف صغير به طائفة من الأواني الخزفية الأندلسية ، التي اشتهرت بصنعها مالقة ، وبعض قطع زخرفية عليها كتابات عربية .

وقد احتفظت قصبة مالقة بعد سقوطها في أيدي الاسبان ، عصرا بجدّتها وروائها . ولبثت زهاء قرنين مقاما ملكيا ، يؤمه الملوك والحكام الاسبان ، لروعة موقعها على البحر . بيد أنها أهملت منذ القرن الثامن عشر ، وأخذ العفاء يدبّ اليها شيئا فشيئا ، حتى شملها الخراب . وأضحت في أوائل هذا القرن اطلالا وركاما دارسة ، الى أن تداركتها أعمال الحفر والتجديد الأخيرة ، فكشفت عن كثير من معالمها الأثرية ومحاسنها العربية القديمة .

وقد كانت قصبة مالقة في عهدها الاسلامي ، صرحا من أعظم الصروح الدفاعية ، وكان لها عندئذ اثنا عشر بابا ، ومائة وعشرة أبراج كبيرة ، عدا الصغيرة . وكان بها قصر للأمير ومساكن للحاشية ، وحديقة فسيحة تفضي الى مجموعة كبيرة من الحمامات . وكان بها مسجد كبير . أما ما بقي منها اليوم ، فانه بالرغم من ضخامته ، وتنوع محتوياته ، لا يعدو أن يكون بقية من الأطلال الدارسة لهذا الصرح العربي القديم .

وقد تحدثنا عن قصبتي المرية ومالقة ، لنقدم فقط نموذجا من هذا النوع من الصروح الدفاعية الأندلسية التي اصطلح على تسميتها بهذا الاسم ، والتي ما زالت تعرف حتى اليوم بالاسبانية باسمها العربي « El Alcazaba » . بيد أنه يوجد الى جانب قصبتي المرية ومالقة عدد كبير آخر من القصبات والحصون الأندلسية القديمة ، في معظم القواعد الأندلسية الذاهبة . وهي بالرغم من كونها في معظم الأحوال تتكوّن من أسوار وأطلال دارسة ، فانها ما زالت بالرغم من ذلك ، تدل على ما كانت عليه القصبة الأندلسية القديمة ، من الضخامة والمنعة ، وما كان عليه عرب الأندلس من براعة هندسية فائقة ، في اقامة المنشآت الدفاعية ، كما انها تدل في كثير من الأحيان على طراز مختلف المنشآت والتحصينات الدفاعية الأندلسية ■

عيد البيت

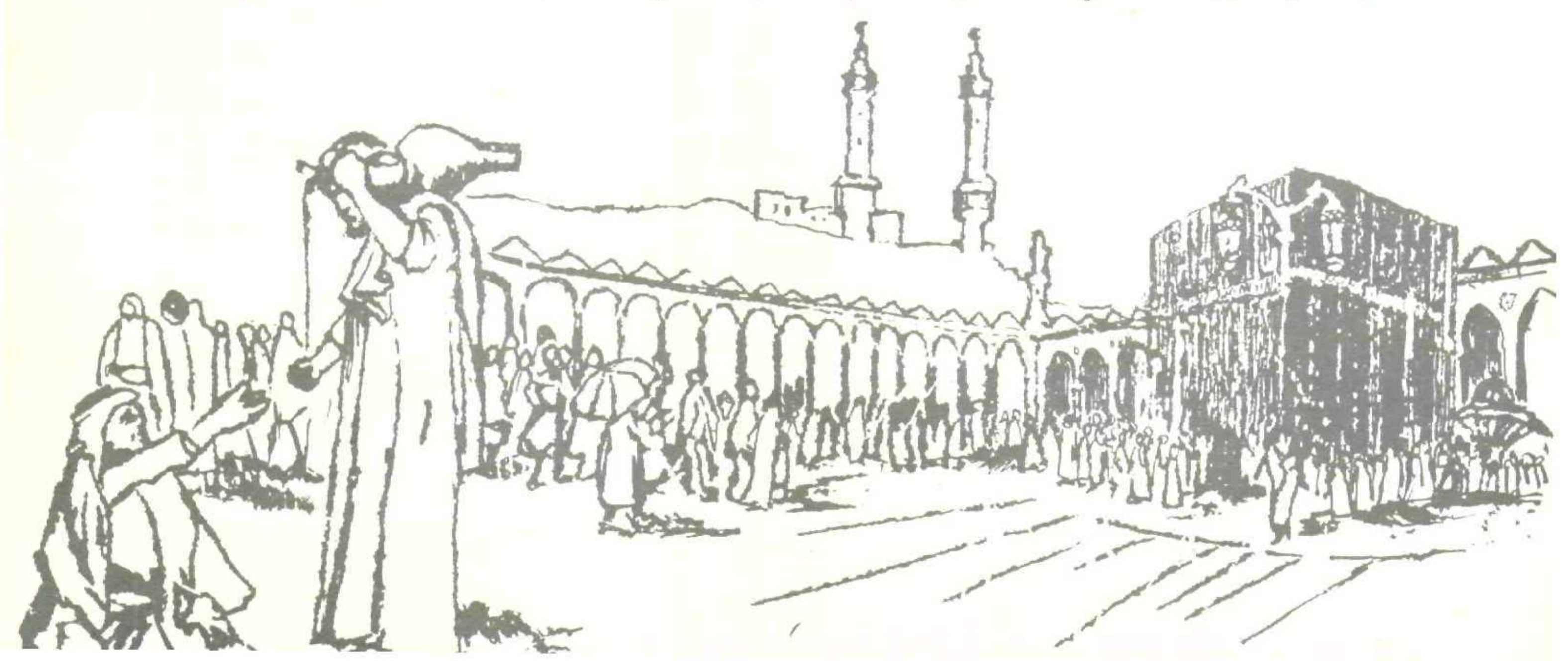
للدكتور زكي المحاسني

هل جرهم عادت الى العهد
لتفيض «زمزم» وارف الورد
سكب من الأرواح ذائبة
من يوم ابراهيم ذي الود
أنا يوم ذقت كؤوسها نشدت
روحي المواجد خلف ما تبدي
ويطوف في ابريقها نفر
يسقون بالطاسات ذا برد
لرنينها صوت على أذني
يهفو بلحن ناغم المد
بأبي وأمي (مكة) أأنا
أنسى لقاها في الهوى القصد
قد قيل : كل حقيقة قصرت
عن وصفها مهما تكن تسدي
هي فوق أحلام وأخيلة
تبدو بحسن جنائن الخلد
لكنني لما دمرت على
«البيت الحرام» مسابقا جهدي
ناديتها يا «كعبة» بزغت
فوق الحقيقة في علي السرد
وتلوت آيات مذهبة
فوق الرداء الباهر السعدي
عيد «لبيت الله» تشهده
آلاف آلاف على الوجد
العز للاسلام يحرسه
أهل العروبة في حمى المجد

وعلى المدينة طلع مرسلها
قد فاح بالريحان والند

قد كنت أسكن «جرولا» وبه
الأجبال دائرة على البعد
يوم الحجيج نزلت ضيف هدى
ولبست احرامي على الجلد
واذا الجموع على المثيل بدت
بيض اللبوس تجل عن عد
وقفوا سواسية مكبرة
لبت نداء الخالق الفرد
كان السرى بجنب خادمه
كفوين مثل الند للند
يا موقفا حكم الاله به
حكم الندى بسيادة العبد
وبدا مدى «عرفات» يستره
بحر الخلائق في مدى الجرد
وخيامه في الشمس ضاحية
بمعسكر للسلم والرفد

ناجيت مكة في منازلها
وأنا على «بردى» لها أهدي
بتحيتي ريان والهة
في القلب باقية على العهد



قراءة الكفّ في الطبِّ الحديث

بقلم الدكتور يونس شناعة

في راحة الكف ثنايا وأخاديد ونقوش متعددة لفتت نظر الانسان منذ عهد بعيد . وقد أشار العالم « ه. كمنز H. Cummins » في عام ١٩٣٨ م الى وجود خصائص واشكال ثابتة لخطوط الكف ونقوشها في الأطفال المصابين بمرض « المنغولية Mangolism » فكانت هذه اول صرخة في عالم الطب حدت بالباحثين على تقصي خصائص اخرى لراحة الكف تتميز بها بعض الحالات المرضية الأخرى عما سواها من المرضى أو الاصحاء . ولقد كان من العوامل الهامة التي عززت صرخة العالم « كمنز » ما اثبته العلماء فيما بعد من وجود نقائص في نظام الجسيمات « الكروموسومات Chromosomes » في خلايا المصابين بالمنغولية تسببت في ظهور هذا المرض .

ما هي النقوش الجلدية ؟

لو فتح القارىء كفه وحدّق مليا في بنان كل اصبع لرأى بالاضافة الى بروز البنان ، ثنيات وأخاديد دقيقة جدا اتخذت أشكالا وتعاريج ذات نماذج معينة . وقد حصر العلماء هذه النماذج في ثلاثة :

* « التلافيف — Whorls » : وهي الخطوط شبه الدائرية التي تتحد في المركز ، سواء قل عددها أم كثر . ويكثر وجود هذه التلافيف في الابهام والبنصر ، في الحالات العادية .
* اللوالب : وهي عبارة عن خطوط اتخذت أشكالا لولبية متداخلة في بعضها البعض ، وهي مفتوحة من جهة ، مغلقة من الجهة المعاكسة . فاذا كانت مفتوحة في اتجاه الابهام سميت « ابهامية » ، واذا كانت في اتجاه الخنصر سميت « باسمه » . وتكثر الأولى في السبابة وتندر فيما عداها ، بينما تكثر الأخيرة في أصابع اليد كافة ، وتنخفض نسبة وجودها الى النصف في السبابة .
* الأقواس : وهي نوعان ، الحاد وهو الذي تدق قمته ، والبسيط وهو الذي تتخذ قمته شكل القبة العريضة . وتكثر الأقواس في السبابة ، وتقل فيما عداها ، في الأحوال العادية .

ومن العلامات المميزة التي اعتمد عليهـا « جالتون » ، الدلتا . وهذه تتكون من أنصاف أقطار ثلاثة تتحد في المركز بحيث يشكل كل نصف قطر مع مجاوره زاوية مقدارها ١٢٠° . ولا تقل أية زاوية من الزوايا الثلاث عن ٩٠° . ويملأ ما بين أنصاف الأقطار خطوط متوازية معها .

ولهذه الدلتا صلة مباشرة بالنماذج الثلاثة المذكورة آنفا ، اذ يحد التلافيف عادة دلتا واحدة من كل جانب من الاصبع ، أما اللوالب فيحدها دلتا واحدة ، في الجهة المغلقة من اللولب وفي أحد جانبي البنان . وتفتقر الأقواس عادة الى دلتا تجاورها .

تلك هي النماذج الرئيسية المميزة التي تبدو تحت عدسة التكبير البسيطة ، بل والعين المجردة . وهناك خطوط أخرى تظهر بارزة في بنان الاصبع أو راحة الكف الا أنها تمثل نماذج منقوصة تتراوح في الشبه بين النماذج الحقيقية وما يسمى بالمجالات المفتوحة .

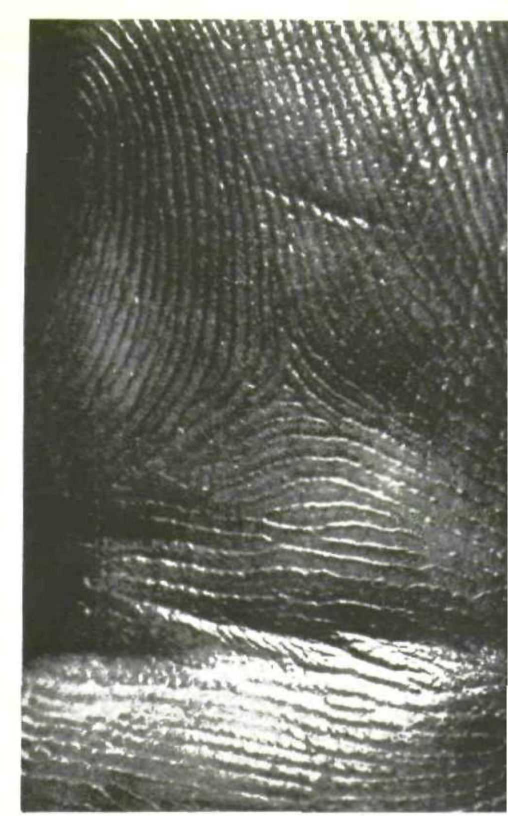
راحة الكفّ

وهي تقسم الى خمسة أقسام :

* أعلى الراحة ، وهو الانتفاخ الممتد ما بين قاعدة الابهام والسبابة .
* كعب راحة الكف أو منخفضها ، وهو الجزء المقابل لأعلى الراحة في الجهة المعاكسة ، ويمتد ما بين قاعدة الخنصر والرسغ ، وهو أقل بروزا ، وذو أهمية بالغة في علم قراءة نقوش الكف .
* القسم الممتد ما بين السبابة والوسطى .
* القسم الممتد ما بين الوسطى والبنصر .
* القسم الممتد ما بين البنصر والخنصر . وهذه الأقسام الثلاثة الأخيرة تقع في قواعد الأصابع ، ويقابلها في الجهة المعاكسة طيات الراحة . وأكثر هذه الأقسام أهمية ودرسا هما كعب راحة الكف . والقسم الممتد ما بين الوسطى والبنصر . ففي هذا القسم الأخير يكون نموذج الخطوط — ان وجد — من نوع اللوالب في حوالي ٩٠ في المائة من الحالات العادية ، أما في كعب الراحة فالأمر أقل دقة واختصارا .

هذا ، ويعتبر وجود « الدلتا المحورية » في كعب راحة الكف من الأمور الهامة والتشخيصية في علم قراءة الكف . فهي لا تختلف شكلا عن الدلتا العادية كما تقدم ، الا أنها تقع في كعب راحة اليد وعلى امتداد محور العظمة (المشطية) الرابعة ، أي على امتداد البنصر ، ولذلك سميت بالدلتا المحورية . ولكن كيف يمكن تحديد موقعها على هذا المحور ، وبعدها عن الرسغ ؟

لقد اصطلح الباحثون على أن تمثل المسافة الممتدة بين أبعد طية من طيات الرسغ وبين قاعدة الاصبع الوسطى بخط مستقيم ، فاذا وقعت الدلتا المحورية في أول ١٥٪ من الطول الكلي لهذا الخط (قريبة من الرسغ) ، سميت بالدلتا المحورية القريبة ، واذا كانت أبعد من من ذلك وعلى طول لا يزيد على ٤٠٪ من الطول



نموذج للأقواس والتعاريج الدقيقة التي يكثر ظهورها في السبابة ، ويقل سمكها عن المليمتر الواحد .

الكلي للخط المذكور سميت بالمتوسطة ، وتسمى بالبعيدة اذا كانت أبعد من ذلك .

بيد أن ثمة طريقة أخرى يتبعها الباحثون في تحديد موقع الدلتا المحورية ، وهي تعتمد على الزوايا . فالمعروف أن هنالك دلتا في قاعدة كل اصبع . فاذا وصل بين مركز الدلتا الكائنة في قاعدة الخنصر ، والتي في قاعدة السبابة ، كلا على حدة ، وبين مركز الدلتا المحورية ، أنّى كان موقعها ، تشكلت زاوية . فاذا كانت هذه الزاوية أقل من ٤٥° سميت الدلتا بالقريبة ، واذا كانت أكبر من ٥٦° سميت بالبعيدة ، واذا توسطت بين الزاويتين سميت بالمتوسطة . ولهذه الطريقة حسناتها ودقتها بالمقارنة بالطريقة الأولى ، الا أن حجم اليد يتغير مع السن والجنس ، مما يجعل الاعتماد على الزوايا أقل دقة أحيانا .

ولكن ما أهمية تحديد موقع الدلتا المحورية ، الى جانب معرفة وجودها وكونها محورية ؟

ان التوزيع الطبيعي لهذه الدلتا يجعلها من النوع « القريب » — من الرسغ — عادة في ثلثي الناس العاديين . وليس معنى ذلك أن الذين يفتقرون الى هذه الدلتا القريبة ليسوا طبيعيين . بل ان احتمال كونهم طبيعيين أضعف منه فيما لو كانت دلتاهم من النوع القريب . ولكي تتضح الصورة أكثر نقول : ان وجود الدلتا المحورية « البعيدة الموقع » في منخفض الكف يثير شكا في حالة الشخص الصحية مما يستدعي البحث والتقصي بالطرق الأخرى للتأكد من خلو المرء من أمراض . ومما يزيد الأمر تعقيدا أحيانا وجود أكثر من دلتا محورية ، ذات نوعين أو أكثر وبمجاميع مختلفة . في الحالات الطبيعية ، وفي الكف الواحدة . وسنعرض لهذه الدلتا المحورية البعيدة فيما بعد بشكل أوسع حينما نتناول الحديث عن الأمراض .

وماذا عن الثنيات والأخاديد البارزة للعين المجردة التي تتوسط راحة الكف مخترقة اياها من أقصاها الى أقصاها وفي شتى الاتجاهات ؟ وماذا عن مثل هذه الثنيات فوق مفاصل الأصابع ؟

انها تلك الخطوط والثنيات التي لفتت أنظار العرّافين والناس أجمعين منذ القدم ، فهي بارزة تماما بالنسبة للنقوش التي سبق أن أشرنا اليها في مستهل المقال . كما أن لها في الطب الحديث أهمية لا بأس بها في الكشف عن بعض الحالات المرضية اذا شذت عن المعتاد في مظهرها وتوزيعها في باطن الكف والأصابع . وأبرز هذه الشواذ :

* وجود ما يسمى بالخط القردي أو خط الأصابع الأربع . وهو عبارة عن اندماج أبعد ثنيتين في راحة الكف (أي نحو الأصابع) في خط مستعرض واحد .

* وجود ثنية واحدة في أي من الأصابع بدلا من ثنيتين ، في الأحوال العادية ، واحدة فوق كل مفصل . وأكثر ما تظهر هذه الثنية الواحدة في الخنصر .

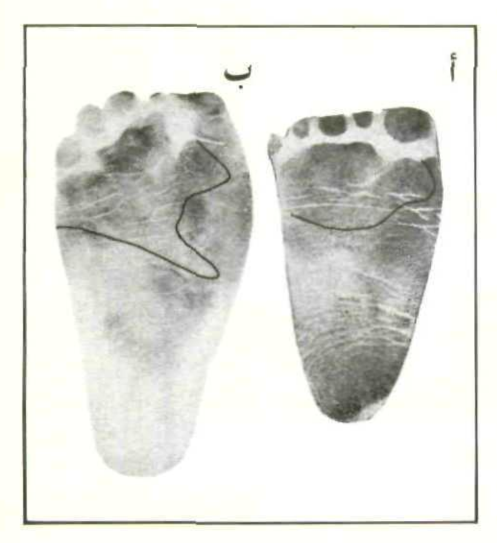
بطن القدم

يقال عن بطن القدم ما يقال عن الكف ، باستثناء الثنيات التي لا وجود لها عمليا في بطن القدم الا بشكل بسيط . فهي تقسم الى عدة مناطق تشمل الكعب ، وأعلى بطن القدم ، ومنخفضه ، وما بين الأصابع . الا أن كل هذه المناطق وان اشتملت على تلافيف ولوالب وأقواس ، كما هي الحال في الكف ، ليست من الأهمية بحيث تبنى عليها استنتاجات أو تعميمات اللهم الا في منطقة واحدة استرعت انتباه الباحثين واهتمامهم حتى عدّوها في طليعة المناطق التي يعتمد عليها في تفسير بعض الظواهر هي منطقة الاصبع الكبيرة .

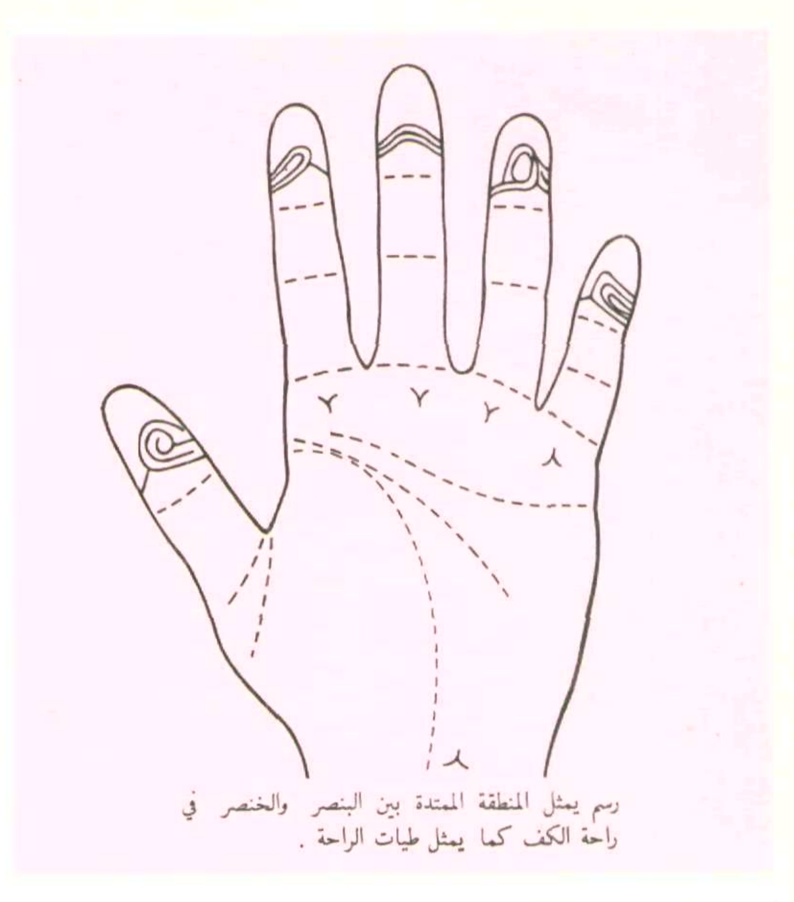
كيفية التكوين

في الأسابيع الأولى من الحياة الجنينية تتكون وسائد من نسيج خاص تغطي بنان الاصبع ، وما بين الأصابع ، وأعلى الكف ، ومنخفضه . ثم يطرأ على هذه الوسائد تغييرات تؤدي بها الى الضمور ثم ترتسم على سطحها ثنيات ، تجاورها أخاديد ذات نقوش في شكل تلافيف أو لوالب أو أقواس . ويكتمل تكوّن هذه النقوش الجلدية ما بين الشهرين الثاني والثالث من المرحلة الجنينية ، ولا يطرأ عليها أي تغيير سوى أن حجمها يزداد مع نمو الجسم ، فيما بعد .

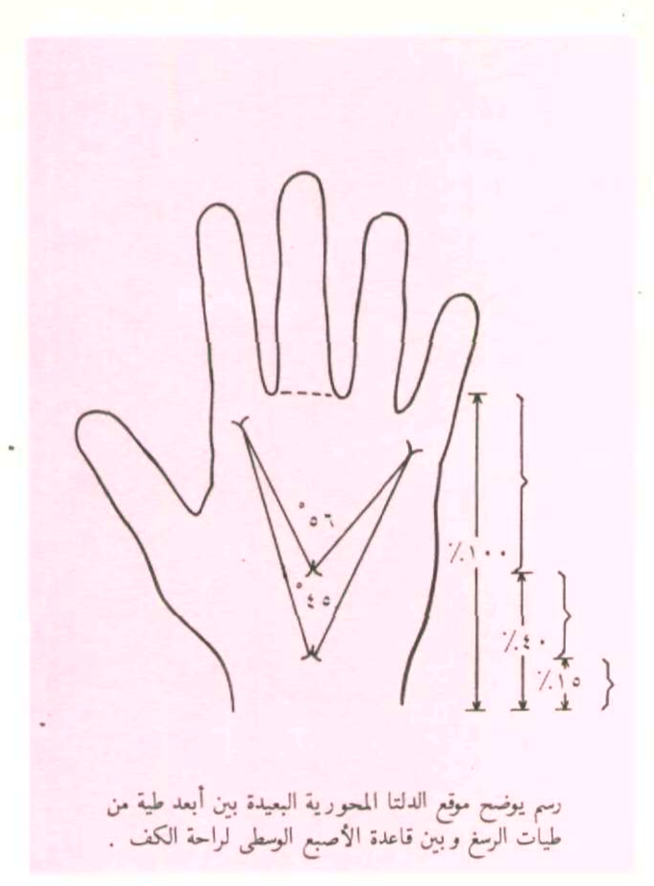
أما ثنيات الكف والأصابع فهي تمثل اتصال الجلد والتحامه بما تحته من أنسجة ، ولا تدل على اعتماد الجلد في هذه المناطق على نمو العظام والعضلات في راحة الكف . ومن هنا كانت فكرة وجود هذه الثنيات . وبناء على طي الأصابع والكف في المرحلة الجنينية ، نقول ، من هنا كانت هذه الفكرة خاطئة في تعليل وجود هذه الطيات وان كان لا توجد صلة بينها وبين نقوش الكف من حيث الأساس ، الا أن تكوينها يتم في المرحلة الجنينية نفسها التي يكتمل فيهـا تكوين تلك النقوش .



ظهور القوس المتعرج في منطقة الاصبع الكبرى من بطن القدم اليمنى من اهم العلامات القاطعة بوجود المرض المعروف باسم « تثليث كروموسومات أحد أزواج المجموعة (د) » .



رسم يمثل المنطقة الممتدة بين البنصر والخنصر في راحة الكف كما يمثل طيات الراحة .



رسم يوضح موقع الدلتا المحورية البعيدة بين أبعد طية من طيات الرسغ وبين قاعدة الأصبع الوسطى لراحة الكف .

كيف تسجل نقوش الجلد وكيف تفحص؟

ان أبسط الوسائل لتسجيل هذه النقوش هي أن يغمس الاصبع أو الكف كله بالحبر . من دواة . أو محبرة خاتم رسمي . ثم يضغط بالاصبع أو الجزء الملطخ بالحبر منه مع دحرجته قليلا على سطح ورقة حساس . مع المحافظة على عدم تشويه النقش المنقول . وبعد ذلك يلجأ الفاحص الى عدسة بسيطة يرى النقش من خلالها مكبرا تكبيرا كافيا لقراءته . ويحسن أخذ كل اصبع على حدة . ثم ما بين الأصابع مساحة مساحة . ثم راحة الكف .

وبالاضافة الى طريقة استعمال الحبر . هناك طرق أخرى من بينها طريقة رش مسحوق « التالك » مثلا على الكف أو الاصبع . أو رش مادة كيماوية معينة على الاصبع ثم ضغط الاصبع (أو مجرد وضعه) على ورق خاص حساس لهذه المادة الكيماوية . ثم قراءته بعد انطباع تلك المادة على الورق .

على أن أحدث الوسائل لتسجيل النقوش الجلدية هي تلك التي تعتمد على تصوير نماذج هذه النقوش بعد انعكاسها من خلال منشور . والحقيقة أن تطبيق هذه الفكرة حديث جدا . الا أن الفكرة نفسها قديمة قدم « اسحق نيوتن » الذي ابتدعها منذ حوالي ٢٥٠ سنة . وهي تعتمد على نظرية تقول بأن الشعاع الساقط على وتر المنشور . بزاوية أكبر من الزاوية الحرجة . ينعكس على سطح الوتر الا أنه لا ينعكس لتوه بل يسير مسافة قصيرة أبعد من الوتر قبل انعكاسه . ولدى تطبيق هذه الطريقة وجد بالفعل أنه بعد تسليط الضوء ونقله منعكسا خلال عدسة مكبرة . الى سطح فيلم حساس . وجد أن الثنيات في الاصبع تمثل اللون الأسود . والأخاديد تمثل اللون الأبيض .

النقوش الجلدية والأمراض

قبل الخوض في الحديث عن أمراض معينة بأسمائها نود أن نقف على أمرين مهمين . الأول هو أن العبرة ليست في وجود نموذج غير طبيعي من هذه النقوش كي يجوز الحكم على وجود مرض أو عدم وجوده . انما العبرة في النقص أو الزيادة في عدد النماذج والرسوم في مكان معين من راحة الكف أو بنان احدى الأصابع . أو وجود نموذج طبيعي في مكان لا يوجد فيه عادة . أو خلو منطقة معينة من الكف من نموذج يكون موجودا فيها عادة .

والأمر الثاني هو أهمية هذه النقوش في مجال التشخيص النهائي . الا أن قراءة هذه النقوش توجه الفاحص نحو مرض معين . أو تلفت نظره الى أعراض مرض ما . أو تضعف ميله نحو تشخيص معين . ويعود السبب في هذا الظن الى تعدد نماذج هذه النقوش واختلاف أنواعها بين البشر في الحالات الطبيعية . ويقال الشيء ذاته عند التمييز بين مرض وآخر من الأمراض . بعد توفر الدلائل السريرية والمخبرية والنقشية .

اذن فالنقوش الجلدية تعتبر وسيلة من الوسائل الثانوية في تشخيص الأمراض . نظرا لسهولة دراستها وسرعة (طبعها) وقلة تكاليفها .

الأمراض

يبرز عند قراءة أي نقش من نقوش الجلد أربع علامات غير طبيعية . فاذا وجدت واحدة منها . أو كلها مجتمعة . وجب البحث عن مرض معين . وهذه العلامات هي . بروز الخط القردي . ووجود ثنية واحدة في أي من الأصابع . بدلا من ثنيتين . ووجود دلتا محورية بعيدة الموقع في منخفض راحة الكف . وكثرة اللوالب (الابهامية) في غير السبابة .

أما الأمراض التي توصل الباحثون الى تشخيصها من خلال نقوش اليد . فهي عاهات خلقية (جنينية) سواء منها ما كان ناشئا في الأصل عن

خلل في ترتيب الجسيمات الملونة (الكروموسومات) في نواة الخلية (سواء أكانت هذه الكروسوموسومات جنسية أم بدنية) ، أو عن عملية مختلفة في طبيعتها تحدث بدورها تغييرا فـي الجسيمات الملونة مما يؤدي الى ظهور العاهة . وأيا كانت العاهة ، فالمتفق عليه هو أن هذه « الكروموسومات » هي التي تحدد شكله وملامحه ، وطوله ، ولون عينيه .. الخ ، ولذلك يمكن القول بأنها مسئولة عن تصميم هذه النقوش الجلدية وعن تباينها من شخص الى آخر . فاذا اعتلت هذه الجسيمات الملونة وتشوهت أو اختل ترتيبها أو نقص عددها أو زاد ، ظهرت علامات المرض في الجسم وفي نقوش الجلد في آن واحد (**انا كل شيء خلقناه بقدر**) .

امراض الكروموسومات البدنية

تحتوي خلية الانسان في نواتها على ٢٣ زوجا من الكروموسومات مرتبة أزواجا في مجاميع ، من بينها زوج يمثل الكروموسومات الجنسية التي تعطي الانسان صفة التذكير أو التأنيث . ويتألف الكروموسوم الواحد من ذراعين متشابهتين من أعلى وذراعين أخريين من أسفل ، وتلتقي الأذرع الأربع في نقطة المركز التي تلعب دورا مهما في انشطار الكروموسوم وتكاثر الخلية . ولقد صنف العالمان « ك. ياتاو » و « دنفر » ، وغيرهما ، هذه الكروموسومات حسب حجمها وشكلها الى مجاميع ، فالأزواج الثلاثـة الأول تشكـل المجموعة (أ) ، والرابع والخامس المجموعة (ب) ، والأزواج المحصورة بين السادس والثاني عشر تشكل المجموعة (ج) ، والأزواج الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر تشكل المجموعة (د) ، والسادس عشر والسابع عشر والثامن عشر تشكل ، المجموعة (هـ) ، والتاسع عشر والعشرون يشكلان المجموعة (و) . أما الزوجان الواحد والعشرون والثاني والعشرون فيشكلان المجموعة (ز) ، وقد ضم اليها كروموسوم التذكير (ص) ، كما ضم الى المجموعة (ج) كروموسوم التأنيث (س) .

بعد هذا العرض الموجز ننتقل الى الأمراض المعينة ، كل على حدة .

* مرض المنغولية– (Mangolism) : ان اكتشاف علامات فارقة في نقوش اليدين وثنياتها لدى المصابين بهذا المرض يؤرخ بدء هذا العلم كله ، كما ذكرنا في مستهل هذا البحث . وتعزى أسباب هذا المرض الى تثليث الزوج الواحد



صورة تمثل طية واحدة في الخنصر بدلا من طيتين في الأحوال العادية .

صورة تبين اخاديد بصمات الإبهام ممثلة باللون الأبيض .



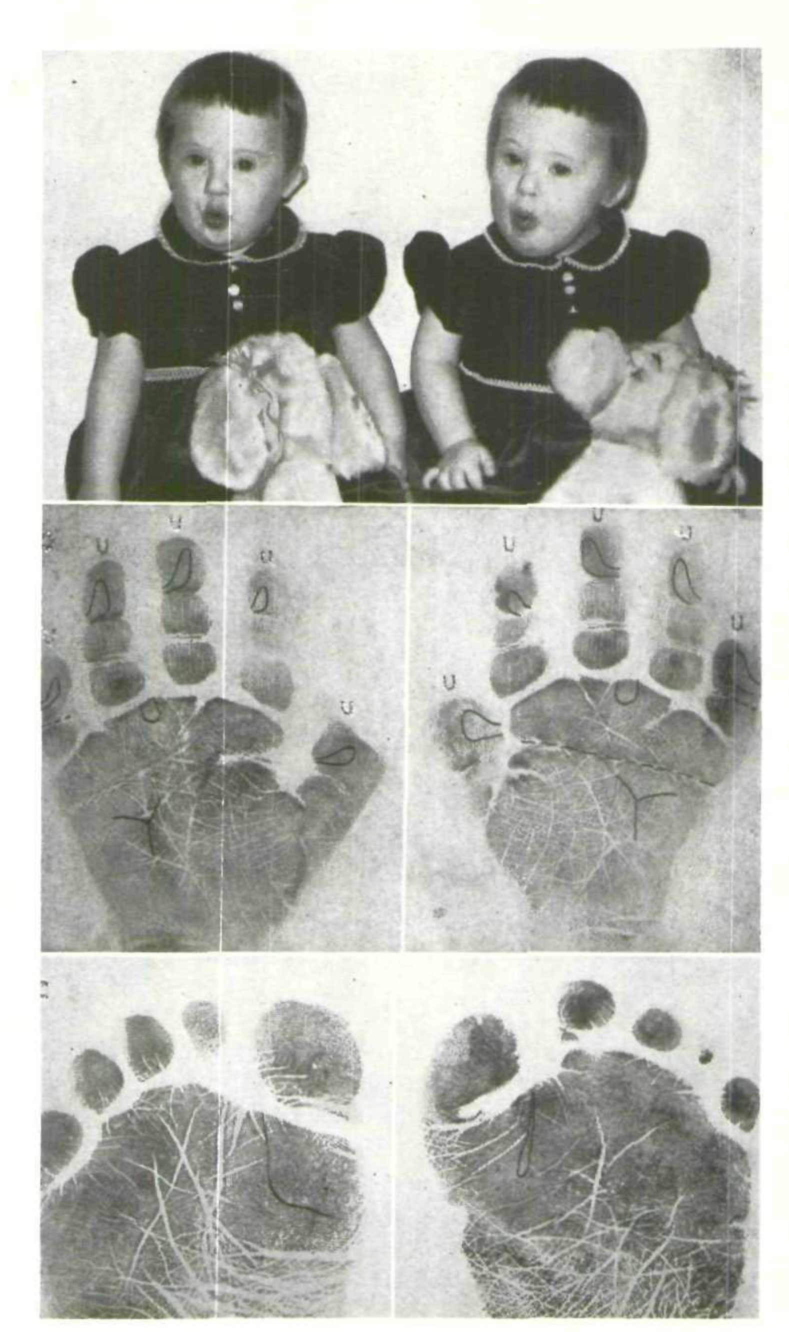
* تثليث الكروموسوم الثامن عشر في المجموعة (هـ) : وهو مرض حديث الاكتشاف . ومن أبرز أعراضه . تشويه الوجه واليدين وشكل الرأس . وبلادة الذهن . أما عن نقوش اليدين فالمصابون بهذا المرض تكثر في أصابعهم الأقواس (٦ أقواس أو أكثر في كل اصبع) . كما تكثر اللوالب في ابهاماتهم . كذلك يبرز الخط القردي أو الثنية الواحدة في الخنصر . أو كلاهما معا . في أكثر من نصفهم .

* تثليث كروموسومات أحد أزواج المجموعة (د) : لا يعرف بالضبط الى أي زوج أضيف هذا الكروموسوم الجديد . ويكاد يظهر في كف كل مصاب بهذا المرض دلتا محورية بعيدة . بينما يظهر الخط القردي والقوس المتعرج في منطقة الاصبع الكبرى من بطن القدم في ٧٥ في المائة من المرضى . وهذه العلامة الأخيرة (القوس المتعرج) تكاد تكون أهم علامة في علم نقوش الجلد اذ أنها تؤكد للفاحص وجـود هذا المرض .

أما خلل الكروموسومات الجنسية فينتج أمراضا من نوع مختلف تدخل فيه صفات التذكير والتأنيث . والمعروف أن زوج الكروموسومات الجنسي في الخلية البشرية اما أن يكون (س س) أو (س ص) . فالزوج الأول يوجد في الأنثى والثاني في الذكر . ذلك في الحالات الطبيعية . الا أن خللا قد يطرأ على تنظيم هذه الكروموسومات لدى انشطار الخلية شطرين . فقد تتخلف بعض الكروموسومات . وبالتالي تختلف المجاميع في الخلايا الجديدة . فبعض الخلايا الأولى التي تتكوّن بعيد الاخصاب تخرج بـ (س ٥ — أو س صفر) . ويسمى هذا بمرض « تيرنر — Turner's Syndrome » .

وأبرز أعراض هذا المرض . قصر القامة وانحناء المرفقين نحو الصدر . ووجود أغشية جلدية تصل بين الرقبة والكتفين (ويمكن ملاحظة ذلك منذ الطفولة) . وضمور الثديين . وتباعد حلمتيهما تباعدا أكثر من المعتاد . وكثرة الشامات في أماكن مختلفة من الجلد . وتغضن الأجفان العلوية وازدياد عرض الصدر . وتورم الكتفين . هذا في الظاهر . أما في الباطن . فهناك أمراض القلب والشريان الأبهر والكليتين والبلادة الذهنية .

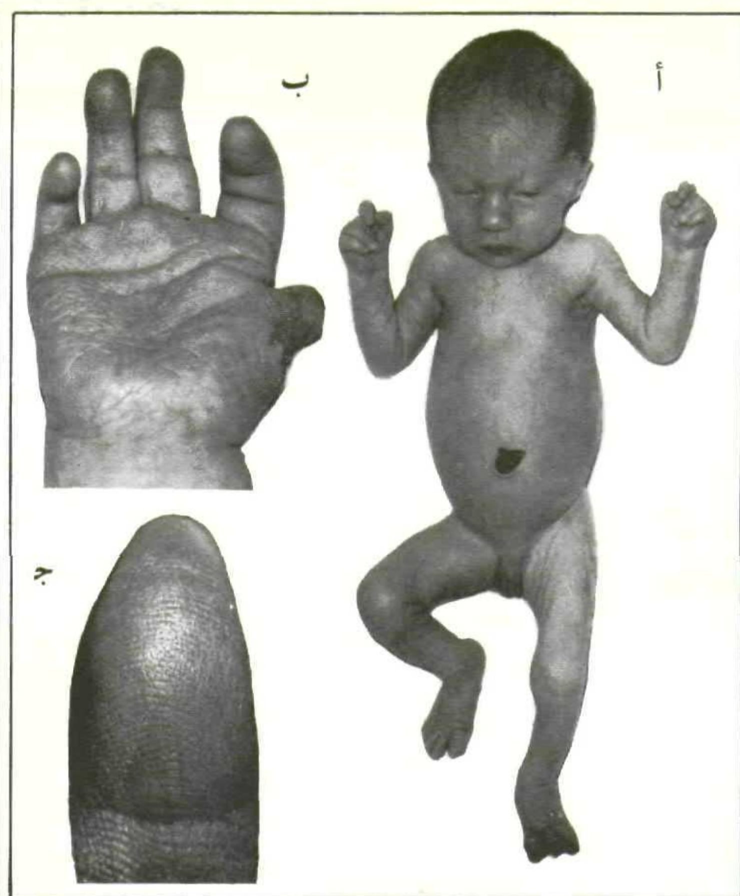
والمصابون بهذا المرض أناث في المظهر عادة . الا أن غدد التأنيث في هؤلاء تكون ضامرة لا عمل لها البتة . ولذلك كان العقم في هذه الحالات أمرا مؤكدا . وتلاحظ الدلتا المحورية البعيدة



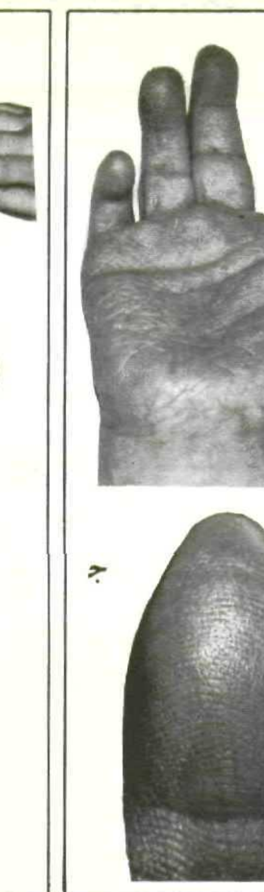
هكذا يبدو المصاب بمرض « المنغوليا » حيث تلاحظ علامات فارقة في نقوش يديه وطياتهما . ويعزى أسباب هذا المرض الى تثليث الزوج الواحد والعشرين من مجموعة الكروموسومات (ز) .

والعشرين من المجموعة (ز) . بحيث يصبح عدد كروموسومات هذه المجموعة خمسة بدلا من أربعة . وهذا الكروموسوم الاضافي هـــو المسئول عن كل الصفات والخصائص الجديدة التي تبدو في هذا المرض . من خلال شكل الوجه . والعينين . والبلادة . وعاهات القلب . الى غير ذلك مما يضيق المجال بذكره .

في عام ١٩٣٩م لاحظ العلامة « هـ. كمنز » أن نقوش اليدين في هذا المرض شاهدة على وجوده . فالخط القردي في راحة الكف موجود بين ٣٥ و ٦٠ في المائة من المرضى . بالنسبة الى ٥ في المائة بين الناس العاديين . لذلك تكثر اللوالب في أصابع هؤلاء المرضى . كذلك تكثر الأقواس في أقدامهم لا سيما في منطقة الاصبع الكبرى . وتقل فيها التلافيف بشكل يلفت النظر . أما عن ظهور ثنية واحدة في الخنصر بدلا من ثنيتين فتوجد في نسبة تتراوح بين ٢٠ و ٣٠ في المائة من المرضى . أما الدلتا المحورية البعيدة فتوجد في ٨٥ في المائة من المرضى . وهذه نسبة تبلغ ٨ أضعاف ما هي عليه في الناس العاديين .



تشويه الوجه واليدين وشكل الرأس من علامات أمراض الكروموسومات البدنية . والمصابون به تكثر الأقواس في أصابعهم واللوالب في ابهاماتهم ، كما يظهر الخط القردي ، أو الطية الواحدة في خناصرهم .



صورة لأحد المرضى المصابين بمرض « تيرنر » حيث تلاحظ الدلتا المحورية البعيدة في راحة كفه بالاضافة الى بروز الخط القردي فيها .

في نسبة ٥٠ في المائة من المصابين به . كما يكثر وجود الخط القردي . وما عدا ذلك فلا يوجد طابع مميز في نقوش اليدين أو القدمين لهذا المرض .

كما قد تخرج الخلية بـ (س س ص) أو (س س ص ص) وهما نوعان مما يسمى بمرض « كلاينفلتر -- Klinefelter's Syndrome » .

ويلاحظ هذا المرض عادة في سن المراهقة من خلال بروز الثديين . وهؤلاء المرضى ذكور في المظهر والمخبر الا أنهم مصابون بالعقم في الغالب . ومن أعراض هذا المرض البارزة . ضعف في نمو شعر الذقن والشاربين بالاضافة الى أمراض القلب والعظام والحول . كما أن ٢٥ في المائة من المرضى يصاب بالبلادة الذهنية .

وعلى الرغم من كثرة السينات (س) في تركيب خلايا هؤلاء المرضى . وتنوع عددها . الا أن الغلبة للصاد (ص) الوحيد بينها . فهو الذي يعطي المريض مزايا التذكير . وكلما كثر عدد هذه السينات ازداد المريض بلادة . وقلت فيه صفات التذكير . وكثرت الأقواس على أصابعه وظهرت فيها الدلتا المحورية البعيدة الا أنها تكون متطرفة نحو الخنصر .

العاهات الناشئة عن علل غير الكروموسومات

ان مثل هذا القول فيه شيء من التناقض . فالعاهات الجنينية أيا كان نوعها ، لا بد من أن يكون للكروموسومات الكلمة الرئيسية فيها . فهي التي تحمل « المورثات — Genes » وتحتوي عليها . وأي تشويه في الجسم لا بد من أن يبدأ في هذه المورثات أو الكروموسومات . ومن هذه الأمراض ما هو معروف سببه مثل عاهة مرض الحصبة الألمانية في الولائد . ومنها ما لا يعرف له سبب . ان هي الا مجموعة من النقائص والعاهات التشويهات الجسدية لا غير . مثل انشطار الشفة العليا وانشقاق الحلق . والعاهات القلبية . وفقدان اصبع أو زيادته ، وفقدان الساعد أو الذراع كله . أو وجود القلب على اليمين والكبد على اليسار . الى غير ذلك مما لا يكاد يقع تحت حصر . وهذه كلها تولد مع الوليد . ولا يعرف لها سبب أساسي قاطع . وتظهر مع هذه العاهات عادة علامات أخرى . ليست جازمة . لدى فحص نقوش اليدين والرجلين مما حدا بالباحثين على أن يفردوا لها دراسة خاصة كغيرها من الأمراض التي أشرنا اليها . وهناك أكثر من ٣٠ حالة من هذه الحالات قيد البحث والدرس . ونكتفي هنا بذكر عاهة الحصبة الألمانية في الوليد فقد وجدت نقوش اليد غير طبيعية في حوالي ٥٠ في المائة من الولائد المصابين . وهي نسبة أعلى منها في كل من الصمم أو تغشية عدسة العين أو العاهات القلبية التي تصاحب هذا المرض منفردة أو مجتمعة . كما أن نسبة وجود الخط القردي والدلتا المحورية البعيدة أعلى منها في الأطفال العاديين .

وتنتج هذه العاهة عن اصابة الأم الحامل بالحصبة الألمانية في الثلث الأول من الحمل . وانتشار « فيروس » هذا المرض عن طريق الدم الى الجنين واحداث العاهة في الجسم كالصمم وتغشية عدسة العين وعاهات القلب ، وغير ذلك .

والذي يراه بعض العلماء — وان كان نظريا حتى الآن — هو أن هذا الفيروس يحدث تأثيرا وخللا في كروموسومات الجنين مما يقود بالتالي الى ظهور هذه العاهات والى التأثير في نقوش الكفين في آن واحد ■



مِنَ البئرِ الى النَاقِلة

إنّ ملايين براميل الزيت التي تتدفق يومياً من حقول المملكة العربية السعودية، تنساب بدقة وإحكام متجهة شطر مراكز التسليم ومرافق الشحن، عبر شبكة من خطوط الأنابيب الرئيسية والفرعية يربو مجموع أطوالها على ٤٥٠٠ كيلومتر، ويتحكم في تسييرها وترحيلها وفق مخطط مرسوم أناس مختصون مهرة تجمعهم وحدة هي بمثابة العصب الحساس لأعمال توزيع الزيت في «أرامكو». هذه الوحدة هي «وحدة ترحيل الزيت والغاز»

فهرست المجلد السابع عشر
١٣٨٩



ان تقلبات الظروف الجوية في مختلف مناطق العالم ولاسيما أوروبا ، هي التي تحمل عادة مراكز التسويق على اجراء اتصالات بمناطق الانتاج النائية لتأمين حاجة المستهلكين من الزيت والغاز وخاصة في الفصول التي تنخفض فيها درجات الحرارة وتتساقط فيها الثلوج فيكثر الطلب على زيت الوقود لاتقاء غائلة البرد القارس . وهذا ما حدث بالفعل في مدينة (همبورغ) . فانه لما اشتد البرد في احدى السنوات ، وكثر الطلب على زيت الوقود ، اتصل أحد فروع التسويق التابعة للشركات المالكة لـ « أرامكو » في المانيا ، بالمسؤولين لدى مكتب أرامكو في نيويورك ليتصلوا بدورهم بادارة تخطيط وتوريد الزيت في الظهران لتأمين الكميات المطلوبة من زيت الوقود والزيت الخام والمنتجات البترولية .

كيف يتم الاتصال لتأمين زيت الوقود ؟

حين يتم الاتصال بين مؤسسة التسويق الداخلي بالمانيا ، وأحد مراكز التسويق التابعة للشركات المالكة لأرامكو ، توقع اتفاقية بين الطرفين حول نوع الزيت الخام المطلوب والكمية اللازمة منه ، وتحديد موعد تقريبي لشحن هذه الكمية وتاريخ تسليمها . ففي اليوم الذي تعقد فيه الاتفاقية ، يتسلم رئيس وحدة مرحلي الزيت في الظهران طلبا من مكتب أرامكو في نيويورك ، يتضمن معلومات دقيقة عن كميات الزيت اللازم شحنها ليتولى بدوره اجراء الترتيبات الضرورية لتأمين هذه الكميات وشحنها في الوقت المحدد لها.

وقبل أن تصل الناقلة الى ميناء رأس تنورة ، يكون رئيس وحدة مرحلي الزيت قد أعطى تعليماته مسبقا الى أحد المرحلين ليطلب الى القائمين على مرافق الانتاج في حقل الغوار أو غيره من الحقول زيادة كمية الزيت المستخرجة من الآبار بحيث تفي بحمولة الناقلة المرتقبة .

ولدى تحميل الناقلة بالزيت ومغادرتها رأس تنورة فانها تمر بميناء « كوكسهافن » على بحر الشمال لتفرغ جزءا من حمولتها . ومن هناك تستأنف رحلتها ميممة شطر أحد معامل التكرير في « همبورغ » وبذلك تكون قد أمنت للأهلين احتياجاتهم من زيت الوقود . وجدير بالذكر أن مرحلي الزيت يقفون دائما على أهبة الاستعداد لمواجهة الطلب المتزايد على الزيت الخام ومشتقاته البترولية ، وذلك تقديرا منهم لضخامة المسئولية الملقاة على عاتقهم .

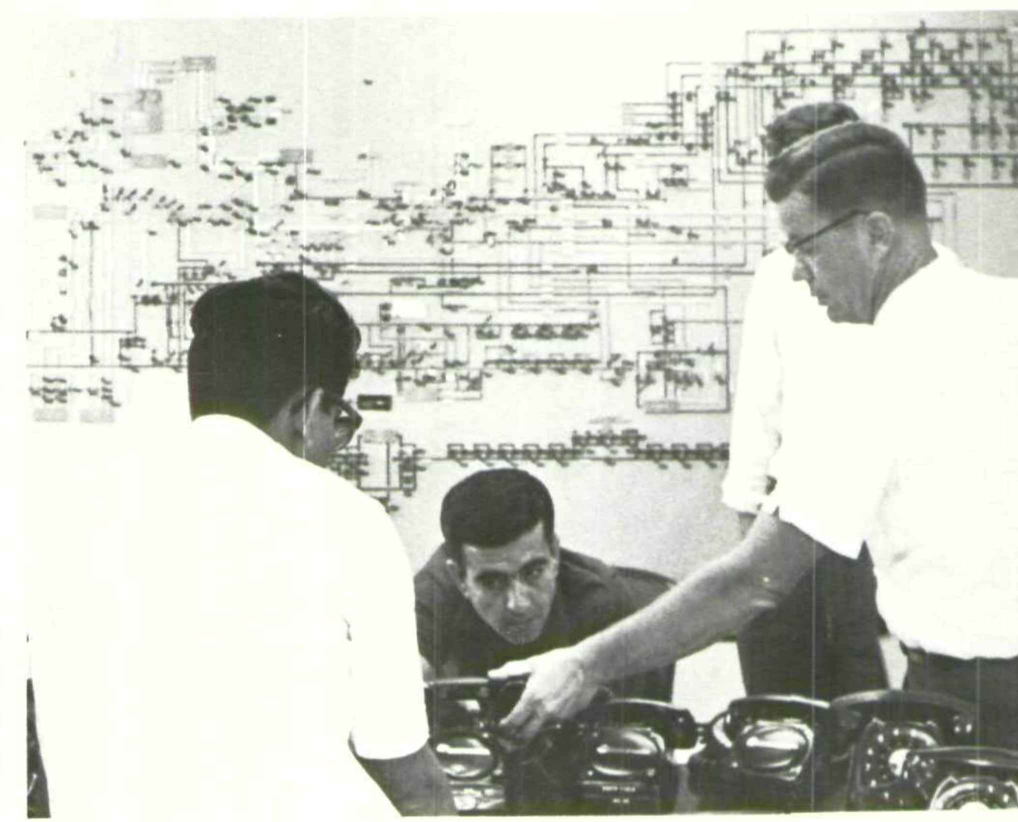
غير أن بلوغ مثل هذا المنصب وهذا المستوى من المسئولية يحتاج ولا شك الى سنوات من الجهد والخبرة . فمرحلو الزيت الذين يقع عليهم الاختيار ، يجري انتقاؤهم عادة من بين موظفي الشركة اللامعين . ويتم تدريبهم وفق برنامج تعليمي يشمل اللغة الانجليزية ، والجغرافيا ، والرياضيات وغيرها من الموضوعات التي تمت لطبيعة عملهم هذا بصلة .

ثم ليست هناك درجة للتخرج . فالطالب يظل طالبا الى أن يقتنع رؤساؤه بمستوى كفاءته في العمل ، وبمقدرته على النهوض بأعباء مهماته على الوجه الأكمل .

ويقول رئيس وحدة مرحلي الزيت ، السيد صبحي صانوري : « على الرغم من توفر جميع المعلومات التي يحتاج اليها مرحل الزيت في تأدية عمله من كتيبات واحصاءات ، وحقائق فان عليه أن يكون ١٠٠ في المائة مصيبا ازاء أي قرار يتخذه بالنسبة للعمل » . غير أن المدة التقديرية اللازمة لتدريب مرحل الزيت تدريبا كاملا ربما تستغرق عشر سنوات . ولكن أكثر المرحلين باستطاعتهم من خلال الممارسة والتمرين ، أن يلموا بتفاصيل عملهم في فترة مداها أربع سنوات بالاضافة الى سنة أو أربع سنوات أخرى يقضونها بجانب مرحلين أكفاء وذلك قبل أن يتسنى لهم تسلم زمام العمل بأنفسهم .

ومع أن تطبيق هذه العملية أمر في غاية التعقيد الا أن نظرية ترحيل الزيت تبدو الى حد ما سهلة ويسيرة . ولكي نتصور العوامل التي تدخل ضمن نطاقها ، علينا أن نتتبع مراحل انسياب الزيت منذ تدفقه من فوهة البئر الى أن يبلغ أيدي المستهلكين .

يتدفق الزيت الخام في المملكة العربية السعودية تلقائيا من حوالي ٤٠٠ بئر يضمها اثنا عشر حقلا تقع في مناطق مختلفة . ثم ينساب بفعل الضغط مباشرة الى أقرب معمل لفرز الغاز من الزيت . والزيت الخام في حالته الطبيعية سائل يحتوي على كميات متفاوتة من مادة كبريتيد الهيدروجين السامة ، كما يحتوي على غاز طبيعي ونسبة من التلوثات والشوائب الغريبة . فلدى وصول الزيت الخام الى معامل فرز الغاز من الزيت ، يفصل عنه الغاز ذو الضغط العالي ويرسل عبر الأنابيب الى مرافق حقن الغاز التي تعيده بدورها الى باطن الأرض ، للمحافظة على الضغط في مكامن الزيت . وفي الوقت نفسه تفصل الغازات ذات الضغط المنخفض تلقائيا ليجري تحويلها



نفر من المسؤولين في وحدة ترحيل الزيت يتبادلون وجهات النظر حول أمر هام .



السيد علي حامد ، أحد مرحلي الزيت السعوديين ، يدون قراءات تلقاها عن كميات الزيت التي تم انتاجها والجهات التي جرى تسليمها اليها .

منظر جوي لمعمل حقن الغاز في عين دار . وقد بدا الى أقصى اليمين أحد معامل فرز الغاز من الزيت .



السيدان سعود الأشقر (واقفا) وسيد محمد علي ، من وحدة التخطيط التابعة لمعمل التكرير برأس تنورة ، يدونان معلومات عن منتجات المعمل بواسطة هذا الجهاز الألكتروني الحديث .



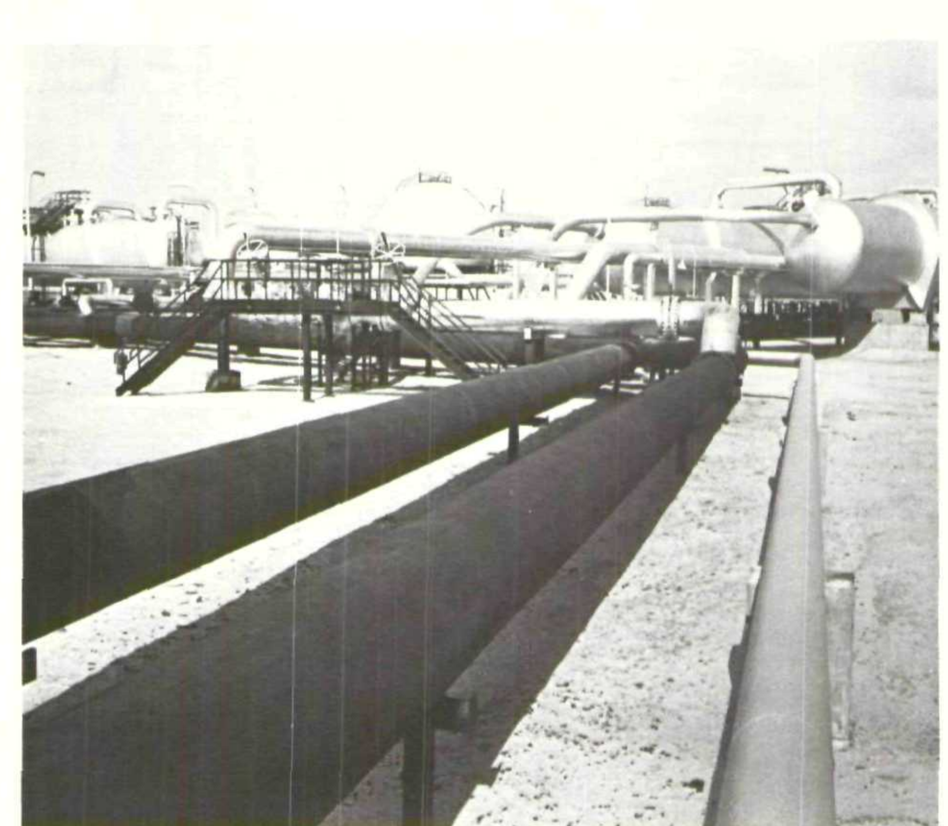
مشغل سعودي ، يقرأ معلومات مدونة على شريط خاص في غرفة التحكم التابعة لمعمل غاز البترول السائل في بقيق .

الى مركبي البروبان والبوتان في معمل فرز غاز البترول السائل وذلك بغية بيعهما منفصلين أو ممتزجين بالزيت الخام .

وبعد ذلك فان قسما من الغاز المتبقي في الزيت الخام يضخ عبر شبكة من خطوط الأنابيب الى معامل التركيز لإزالة غاز كبريتيد الأيدروجين منه . ليصبح الزيت الخام حلوا وأكثر صلاحية للاستعمال . وبعد ذلك يضخ الى ساحات الخزانات المحتوية على صهاريج ضخمة تتراوح سعة الواحد منها بين ١٨٠٠٠٠ و ٦٣٠٠٠٠ برميل بانتظار ترحيله الى أي من مرافق الشحن الأربعة الرئيسية وهي : معمل التكرير برأس تنورة . وناقلات الزيت للتصدير من ميناء رأس تنورة البحري . ومرافق «التابلاين» في محطة القيصومة . والبحرين عن طريق خطين للأنابيب ممتدين تحت مياه الخليج العربي .

ان دور مرحل الزيت في هذه العملية الدقيقة الحساسة . هو المحافظة على استمرار تدفق جريان الزيت من الآبار . الى معامل فرز الغاز من الزيت . فمراكز الضخ . فمعامل التركيز . ثم الى ساحة الخزانات . وباختصار . فان ما يترتب عليه عمله نظريا هو اعطاء التعليمات بشأن فتح الصمامات المقامة على فوهات الآبار حتى تمتلىء الخزانات . ثم اغلاقها . وجدير بالذكر أن مرحلي الزيت يقومون بانجاز واجباتهم وفق برنامج يومي يعده رئيس الوحدة . ويشمل هذا البرنامج عادة كميات الزيت التي ينبغي انتاجها من معامل فرز الغاز من الزيت . وكذلك كميات الزيت وغاز البترول السائل التي يجب ضخها في كل خط من خطوط الأنابيب المؤدية الى مرافق التسليم . ثم التغييرات التي قد تطرأ على معدلات الانتاج اليومي اذا اقتضت الضرورة ذلك . بالاضافة الى المبيعات اليومية المقدرة لأنواع الخام الثلاثة الرئيسية التي تنتجها حقول أرامكو . وكذلك الكميات المقدرة للغازات ذات الضغط العالي التي ينبغي حقنها في معامل حقن الغاز بغية المحافظة على الضغط في مكامن الحقول ورفع الطاقة على انتاجها .

وبموجب التعليمات التي يتضمنها هـذا البرنامج التفصيلي . يشرع مرحلو الزيت والغاز في تعميمها لاسلكيا على المسؤولين لدى معامل فرز الغاز من الزيت ومحطات الضخ ومراكز التسليم ليعملوا بمقتضاها . وفي الوقت نفسه تتلقى وحدة ترحيل الزيت قراءات مرة كل ساعتين عن مقدار الضغط والثقل النوعي ومعدل الانتاج



جانب من أجزاء معمل فرز الغاز من الزيت في شدقم .

جهاز الكتروني حديث استقدمته أرامكو مؤخرا ، يؤمن لمرحلي الزيت الاتصال بمرافق الزيت النائية وتبادل المعلومات المتعلقة بانتاج الزيت وشحنه الى مراكز التسليم .





منظر جوي لساحة خزانات الزيت التابعة لميناء رأس تنورة البحري .

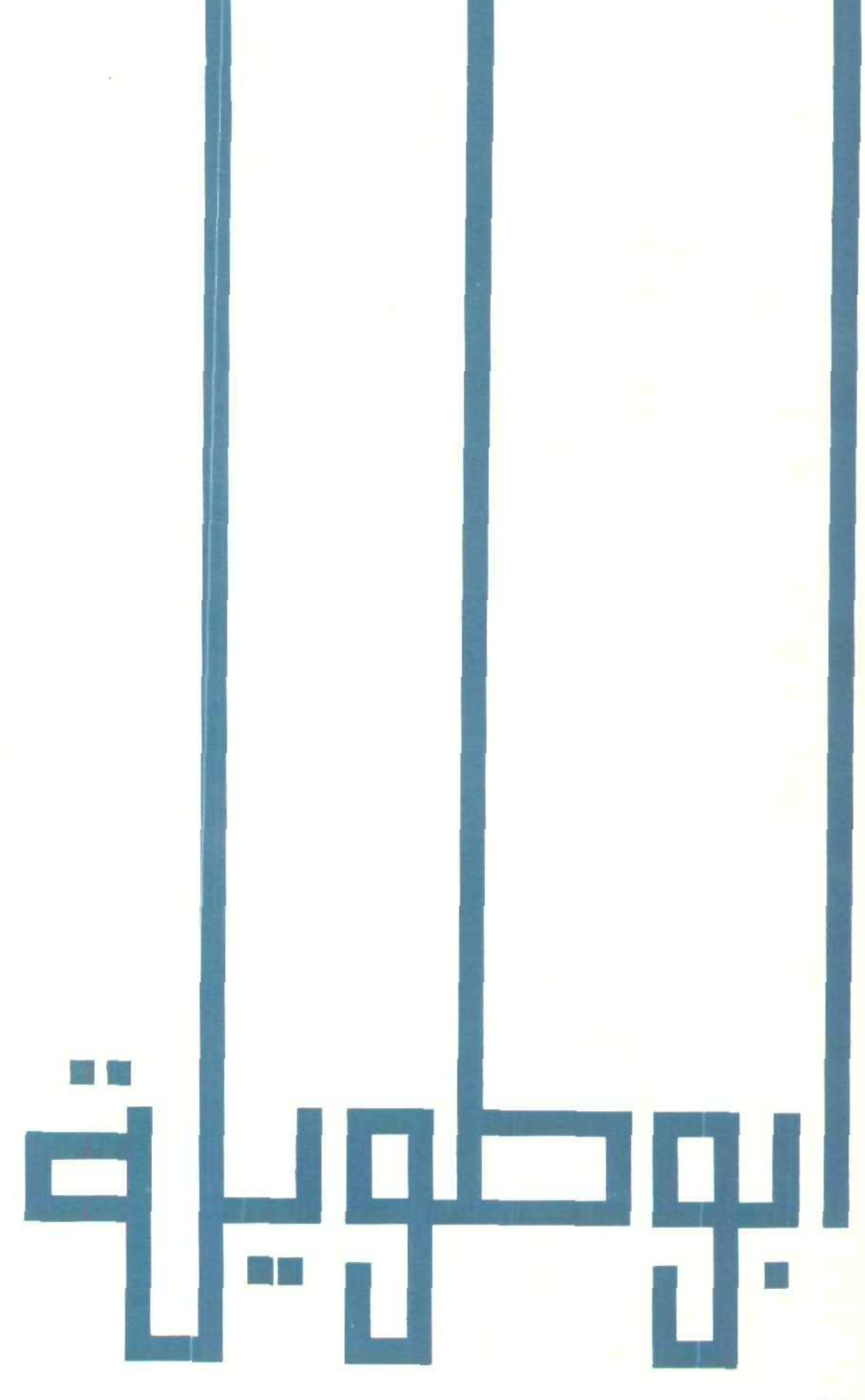
في كل ساعة . وفي حال اجراء أي تعديل بشأن رفع الطاقة على الانتاج أو تخفيضها في أي من خطوط الأنابيب ، يقوم المرحلون بتعميم هذه التعديلات على الجهات المعنية بالأمر لتطبيقها واتخاذ الاجراءات الضرورية على الفور . هذا وتقوم وحدة مرحلي الزيت باعداد برنامج شامل يومي عن كميات الزيت وغاز البترول السائل التي تم تسليمها خلال الأربع والعشرين ساعة الماضية ، وبعد ذلك ترفع نسخ من هذا التقرير الى الادارة العامة والأقسام المعنية بالأمر للاطلاع عليه .

والى جانب ذلك تتلقى وحدة ترحيل الزيت والغاز تقريراً شهريا من مكتب أرامكو في نيويورك عن كميات الزيت الخام التقديرية وأنواعها التي يتوقع تصديرها وشحنها الى الأسواق خلال اثني عشر شهرا . وكذلك أسماء الناقلات المرتقبة وتاريخ وصولها الى رأس تنورة . بيد أن الأرقام الخاصة بالانتاج والتسليم يطرأ عليها أحيانا تغييرات قد تضطر المسؤولين في وحدة ترحيل الزيت الى اجراء تعديلات في البرنامج اليومي . وتحدث مثل هذه التغييرات عادة نتيجة لتأخير في وصول الناقلات ، أو خلل في المعدات ، أو لرداءة الجو . ويعتمد رئيس الوحدة في تعيينه لمراكز الانتاج على ضوء الدراسات التي تقوم بها ادارة هندسة انتاج الزيت في الشركة .

هذا وقد تم مؤخرا تجميع أعمال أرامكو التي لها علاقة بنقل الزيت عمليا واداريا في ادارة واحدة . وبذلك أصبحت عمليات مراقبة الزيت من معامل الشركة لفرز الغاز من الزيت حتى مرافق الشحن ، تتم من مركز واحد للمراقبة . وللغرض نفسه . استحضرت الشركة مؤخرا جهازا ألكترونيا من طراز (IBM - 1130) ليسهل على المسؤولين في وحدة ترحيل الزيت مهمة الاتصال بمكتب أرامكو في نيويورك بشأن المعلومات المتعلقة بعمليات نقل الزيت وتعيين عدد الناقلات المرتقب وصولها . والتغييرات التي قد تطرأ على مواعيد وصولها الى رأس تنورة . وكميات الزيت المطلوب شحنهـا . وكذلك ليمكنهم من انجاز العمليات الحسابية الضرورية في أقل وقت ممكن ، وللتحكم في اغلاق أو فتح ما يقرب من ٢٠٠٠ صمام موزعة على شبكة خطوط الأنابيب . وترد مثل هذه المعلومات الى « ادارة تخطيط وتنظيم وتوريد الزيت » في الظهران بواسطة « التلتايب » . وفي الوقت نفسه تقوم هذه الادارة يوميا بتزويد المسؤولين في نيويورك بجميع المعلومات الخاصة بالانتاج والتكرير والشحن . ومن ميزات هذا الجهاز الجديد أنه يسهل مهمة الاتصال بين الظهران ونيويورك ويقلل من عملية تبادل البرقيات بين الطرفين الى أدنى حد .

وبعد ، فاذا ما عرفنا أن مرحل الزيت يتحكم في ترحيل ما يقرب من ثلاثة ملايين برميل من الزيت يوميا ، أدركنا على الفور دوره الحساس في عمليات توزيع الزيت في أرامكو . ألا وهو المحافظة على استمرار تدفق الزيت من مصادره حتى مرافق شحنه . ■

محمود عبد القادر الحاج



بقلم الاستاذ محمود تيمور

انه يسير بخطا فساح سراع ، كأنما هو على موعد يخشى أن يخلفه ..

بل انه يجري بكل ما يملك من عزم ، كأنما وراءه من يطارده ، فهو يحاذر أن يقع في قبضته .

منذ ربع قرن أو يزيد ، وأنا على هذه الحال أراه ، لا يتوقف ، الا اذا دعته الى الوقوف حاجة . كأنما هو يتوخى هدفا يهفو أن يبلغه .. يدور حول الأبنية الضخام ، ولا يفتأ يدور ، لا يعنيه من شيء ، الا أن يسير في عجلة وفي جهد ، يطوح بذراعه اليمنى خلفه والى الأمام ، لتدفع بجسمه الممصوح المهزول البائن الطول ، كأنما ذراعه مجداف في يد ملاح يضرب به في بحر مواج . أما يده اليسرى فتمسك بطائفة من أقلام الرصاص التافهة ، ودفاتر الورق الرخيصة ، بضاعته التي يتراءى بها على أعين السابلة ، ليستخفي بها ممن يتعقبون أهل التشرد والاستجداء .

وحين يبلغ منه الاعياء كل مبلغ ، يخر على الأرض متهالكا ، بجوار جدار يلتمس بعض الراحة ، ثم ينهض على الأثر ليتابع طوافه العجيب.

وكثيرا ما ساءلت نفسي :

كم مرة أتم دورانه حول الأرض في رحلته الموصولة ؟

عرفته على هذا النحو .. انه « محروس » الذي اصطلح الناس على أن يسموه « أبو طويلة »..

نصف عمره قضاه في السجن جزاء الاستجداء والتشرد ، والنصف الآخر أمضاه راكضا في الطرقات . ولم يكن « محروس » طويل القامة فحسب ، بل كان طويل اليد أيضا .. بارعا في النشل .. النشل الخفيف الظريف ، ولا نبالغ اذا لقبناه بالنشال الكيّس ، فهو لا يقرب حوافظ النقود ، اذ هو قانع بما ينال من منح يجود بها عليه عارفوه .. فاذا نشل فانما ينشل بعض الطرائف والألطاف المتواضعة القيمة .

وأنت اذا مثلت معه ، تباسطه في الحديث ، ثم تركته ، لا تعدم أن تكتشف على الفور أن شيئا قد نقص منك ، واذا هو منديل ، أو زر قميص ، أو مشبك لرباط الرقبة ، أو قلم حبر جاف .. وقد يبلغ الأمر أن يكون ما ينشله بعض أقراص الأسبيرين أو النعناع !

وحين تواجهه بعد ذلك ، متهما اياه بالنشل ، يتصايح متباكيا ويحتد ، ويقسم بأغلظ الأيمان على براءته ، ولا تملك الا أن تتركه وشأنه ، لا معتقدا أنه برىء ، بل لأنك تحس من أعماق قلبك أنك غير قادر على الحاق الضرر به .

و « محروس » هذا يصر على أن يرتدي البدلة الافرنجية ، وهي على رثاثتها لائقة به ، كأنها على قده مفصلة .

قلت له مرة وأنا أتبينه :

— أحسبك لا تدعي أن البدلة التي ترتديها قد فصلها لك خياط خاص .

فابتلعت وجهه ابتسامة عريضة بانت على أثرها عظام وجهه الناتئة ، وغارت عيناه كأن لم يكن لهما وجود ، وقال :

لقد تلقيتها هدية من أحد المحسنين أمثالك .

— ولكن كيف اتفق استواؤها عليك هـــذا الاستواء العجيب ؟

— أنا الذي سويتها على قدي .

— أتراك تحسن التفصيل والخياطة ؟

— هويت هذا العمل بعض الوقت ثم كرهته ، ولم تعد لي طاقة بممارسته .

— انه عمل شريف تستطيع أن تكسب منه مالا حلالا .

فظل برهة صامتا يفكر ، ثم رد بقوله مغضن الجبين :

حرام حلال .. والله يا سيدي ان ما تظنه حراما قد يكون في حقيقته حلالا ، وخلف ما تظنه حلالا تكمن الخطيئة بأبشع صورها ..

— فلسفة غريبة يا سيد « محروس » .. أحسب أن على عينيك غشاوة تحول بينك وبين رؤيـــة حقائق الأشياء ..

ومضى عني يمسح عينيه وأنفه ..

ومرة ضقت ذرعا بسرقات « محروس » ، وفاجأته مغضبا :

— كيف لا تستحي أن تسرق ممن يحسنون اليك ؟

فبوغت ، وأرتج عليه لحظات ، ثم ما عتم أن قال هادىء النبرة :

— ثق أني لا أسرق الا ممن أحبهم ، ومن أعتقد أنهم يحبونني .. !

— عجيبة !

وواصل كلامه ، وهو ممتلىء الثقة بنفسه :

— السرقة عندي نوع من التكريم والاعزاز لمن أسرق منه ..

— يا سلام ! !

— هذا هو الواقع

ثم أخذني من يدي ، واستأنف قائلا :

— تعال معي ..

— الى أين ؟

— تعال يا سيدي تعال .. لم يعد لي احتمال على أن أسمع ما تقول .

فثار بنفسي فضول ، وألفيتني أسير واياه ، وكان علي أن أدفع بخطاي كأنني أجري لألاحق خطوه الحثيث .

وسرنا من شارع الى شارع ، نخترق الطرق والدروب ، حتى بلغنا أخيرا خربة عرفت أنها تخلفت عن حريق قديم ، ولم تجد بعد اليـــد المعمرة لتزيلها وتقيم مكانهـــا مبنى حديثا .

وجعل يحوم حول المكان ، وكان الليل قد أقبل ، فانتشرت الظلمة ، وخلت البقعة من المارة وسار « محروس » بضع خطوات وهو ممسك بيدي ، متوخ مكانا معينا في الخربة ، وهو يتلفت حوله ليطمئن الى أن المكان خال من كائن حي .

وتابعنا سيرنا بين كومات التراب وركام الحجارة ، واستقرت قدماه أخيرا عند تل ، حيث جلس القرفصاء ، وأطلق يديه تعملان في التل .. كان يحفر بمهارة جديرة بالاعجاب ، وبعـــد لأي اجتذب صرة كبيرة جعل ينفض التراب عنها بعناية ، وحل رباطها في تؤدة ، فاستبانت محتوياتها : علب ولفائف ورزم مختلفة الشكول والأحجام .. وتخير رزمة من بينها أخذها بين يديه ، ثم ناولني اياها وقال :

فانثنيت أفعل . وما أسرع أن انتشرت بين يدي مجموعة غريبة من المتنوعات .

— تفحصها يا سيدي .. تفحصها .

يا للعجب ! .. انها طرائفي ولطائفي التي سرقها مني « محروس » .. انها هي كلها .. تكاد لا ينقص منها واحدة .. ازرار قمصان . مبراة . محفظة مفاتيح لم تستعمل . أقلام . مناديل . وما الى ذلك مما كنت أشتريه . وألاحظ أنه يختفي على أثر لقائي « لمحروس » !

— أعرفت أشياءك ؟

— .. ولم احتفظت بها ؟

— كما احتفظت بسواها . انظر ..

وألقيت نظرة على المجموعة . وقد ازداد بي الدهش . وهمهمت قائلا :

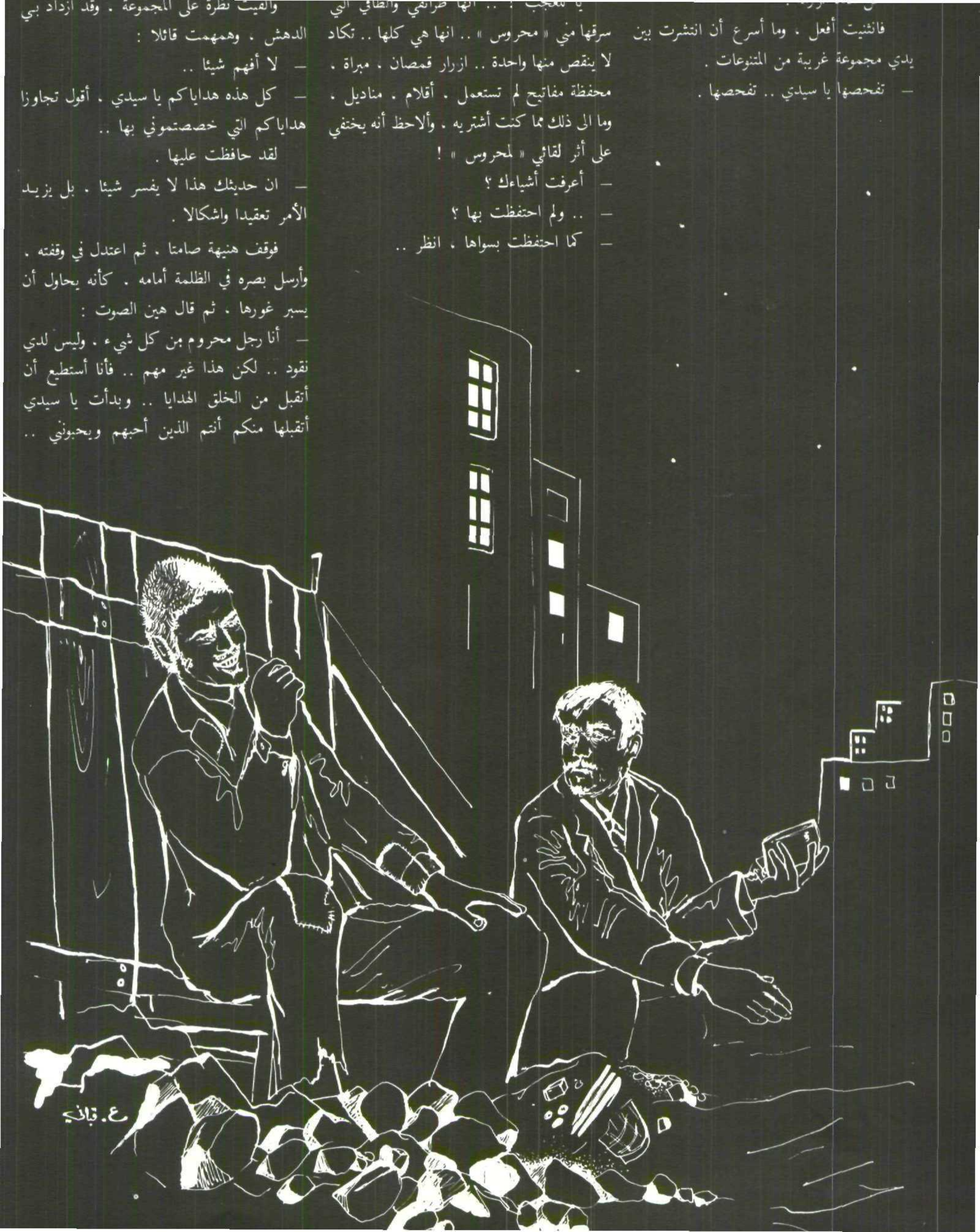
— لا أفهم شيئا ..

— كل هذه هداياكم يا سيدي . أقول تجاوزا هداياكم التي خصصتموني بها .. لقد حافظت عليها .

— ان حديثك هذا لا يفسر شيئا . بل يزيد الأمر تعقيدا واشكالا .

فوقف هنيهة صامتا . ثم اعتدل في وقفته . وأرسل بصره في الظلمة أمامه . كأنه يحاول أن يسبر غورها . ثم قال هين الصوت :

— أنا رجل محروم من كل شيء . وليس لدي نقود .. لكن هذا غير مهم .. فأنا أستطيع أن أتقبل من الخلق الهدايا .. وبدأت يا سيدي أتقبلها منكم أنتم الذين أحبهم ويحبونني ..



اتشك في قولي ؟ وقلت :

— مطلقا يا « محروس » ..

— لن أفرط في هداياكم ما حييت ، ولو بذلوا لي فيها المئين .. انها أصبحت قطعة مني .. وما أسعد هذه اللحظات التي قضيتها معها ، أبسطها أمامي ، وأنا أقلبها بين يدي في زهو واعتزاز .. اني أشعر بأني كسائر الخلق ، لي ما أمتلك وما أقتني !

وصافحت سمعي حركة ، ففزع « محروس » الى مقتنياته يجمعها ، وهو يتلفت مذعورا ، وحدقت نحو مصدر الصوت ، فرأيت على الأرض غير بعيد منا شيئا يتحرك ، وكأنه حجر يتحلحل من مكانه بعامل خفي .

وهمس « محروس » :

انه كلب .

نرقب الكلب في حركاته ، فلاحظت أنه يشتم الأرض حوله يمنة ويسرة ، ثم جمد عند بقعة ، وهو ينبش ترابها في جد .. وبعد لأي أخرج عظمة ما أسرع أن أطبق عليها فكيه . وفي هذه اللحظة أحس بوجودنا فرمقنا بنظرة شزراء ، وهو يهر هرير الحذر والتحفز ، ثم انطلق وعظمته بين أسنانه ، وذاب شبحه في الظلام .

والتفت اليّ « محروس » يقول مندفعا بملء فيه :

— اللعين سرق العظمة من الجزار وأخفاها هنا ..

فبادرت أجيبه :

— بل لقد تلقاها هدية من صديق عزيز ، على حد زعمك .. فابتسم ابتسامة عريضة ، وهمهم :

— أحسنت يا سيدي ، وشكرا ..

وما لبث أن انسرح يفكر ، ثم رفع رأسه يردد : سبحانك يا رب .. حتى الكلاب لها رغبة في أن يكون لها شيء !

— لا عجب في ذلك ، فالاقتناء غريزة .. وهي من الغرائز البناءة ، اذا أحسنت استخدامها ، ووجهتها الى الصالح العام ..

ونشر « محروس » أذنيه مصغيا اليّ ، وأمامه هذا الكوم من الطرائف يقلبه بين أصابعه ، ومضى يردد :

— غريزة بناءة .. نوجهها الى الصالح العام ؟

ثم ابتسم ابتسامة جريئة ، وقال :

— المعذرة يا سيدي .. لست من خريجي المدارس ، لأفهم قولك .

— الموضوع أبسط من أن يحتاج الى تعليم مدرسي . أعرني سمعك ..

الاقتناء وحده — كما أنت فعلت — اقتناء حبيس ، لا نفع فيه البتة .. انه لا يعود بالخير عليك ولا على أحد غيرك .

— أتريد أن أوزع مقتنياتي على الناس ؟

— بل أشركهم في هذه المقتنيات بطريقة عملية ، رابحة لك ، نافعة للجميع ..

فاعتصر رأسه ، وهو يقول :

— زدني ايضاحا ..

فواصلت قولي :

— ان ما في حوزتك من المقتنيات يعد رأس مال ، وان يكن صغيرا .. اذا دخلت به السوق وتعاملت مع الناس بأمانة كان النجاح حليفك لا محالة ..

فأغرق ضاحكا ، وقال :

— أتريد أن تحيلني تاجرا ؟

— ولم لا ؟

فسرعان ما تعقد جبينه ، وقال :

— أنا شخص ضائع ..

— تستطيع أن تكون رجلا نافعا في الحياة ، لك في المجتمع كيان .

فاشرأب بعنقه الضامر ، وقال :

— أنا !

— أتثق بقولي ؟

— كل الثقة .

— أطلب منك ألا تعاود دفن هذه المقتنيات ، بل احملها معك ، وتعال معي ..

... وانطوت أيام .

وظهر « أبو طويلة » في الطرق يجوبها واسع الخطا على مألوف عادته ، غير أنه قد خفف شيئا من اسراعه ، وكان يحمل على صدره صندوقا من الورق المقوى ، يحوي بعض الطرف والألطاف ، يعرضها على السابلة .

ووجد من الناس استجابة له ، فتوسع في تجارته ، بيعا وشراء ، فزاد ربحه ، وحسنت حاله .

وأخيرا ، بعد عهد مديد من الجري المتواصل ، استقر المقام بصاحبنا « أبو طويلة » فاحتوته ظلة خشبية أنيقة ، على رصيف الشارع العام ، قبع في داخلها يمارس بيع طرفه وألطافه ، التي أصبح يشتريها ، وهو باش المحيا ، خفيف الحركة ، ذلق اللسان ، حلو الأفاكيه .

وقد يسنح لذاكرته أحيانا طيف « كلب » يستخلص من بين الركام عظمة يطبق عليها فكيه ، وينطلق بها يعدو .. فيتراءى على فمه ظل ابتسامة كئيبة ، لا تلبث أن تتزايل ..

عهد انقضى .. لا رجعة له ولا عود ! ■

حول ارتياد الأعماق

يعكف رجال الصناعة حالياً على تطوير أنواع جديدة من السفن الغواصة لاستخدامها في ارتياد الأعماق وفي الكشف عن مصادر الثروة البترولية والمعدنية وفي الأبحاث المتعلقة بعلم دراسة البحار والمحيطات

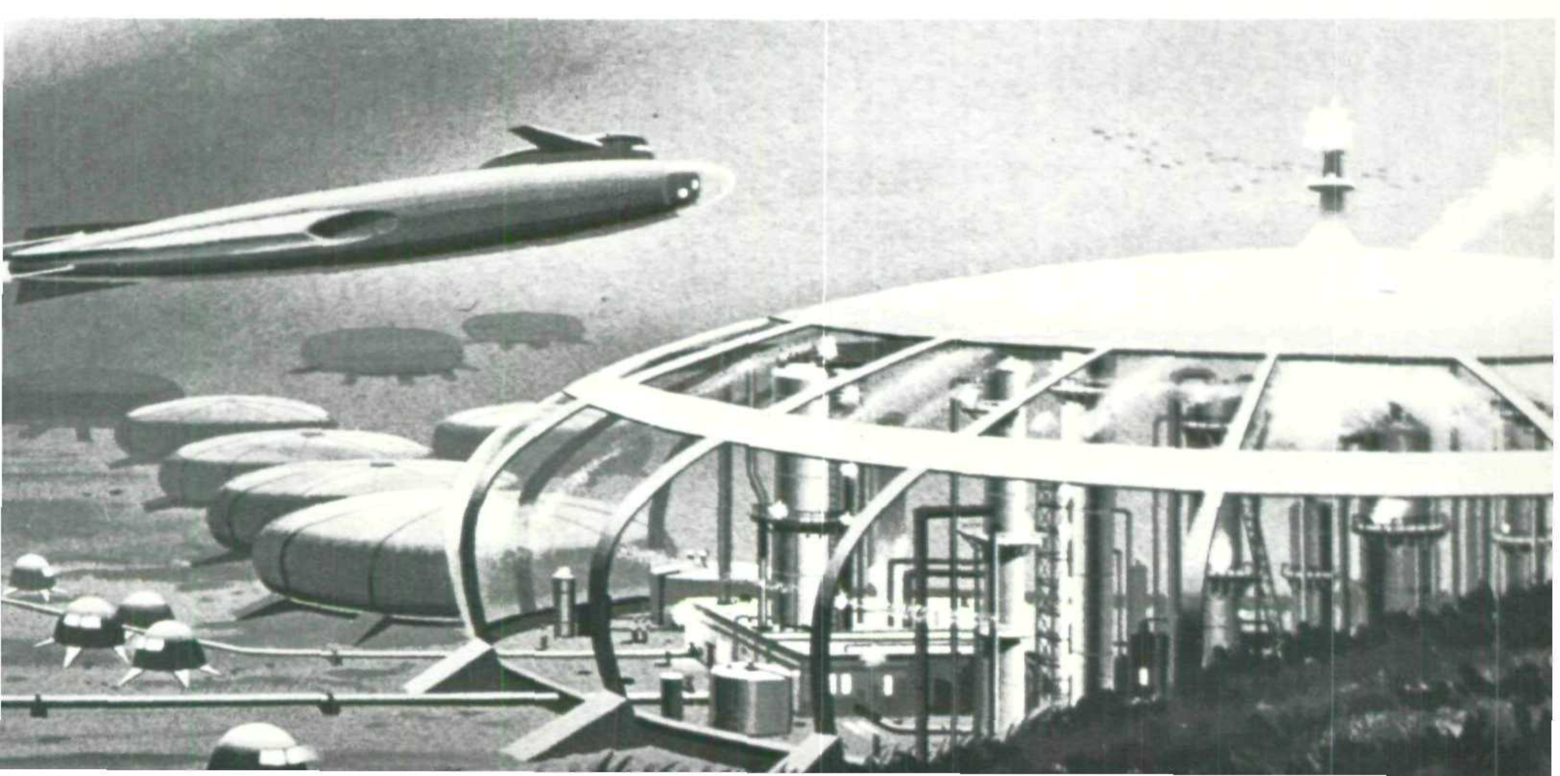
بالرغم من أن المحيطات أقرب الى الانسان من القمر فانها لا تزال تبدو بالنسبة اليه مناطق مجهولة يكاد يستحيل الوصول اليها وان كان أفلح مؤخرا في الوصول الى القمر والعودة منه الى الأرض بسلام . وعلى أي حال ، فان البحار بدأت من عهد قريب تجذب الأنظار اليها لما تحويه من مصادر للغذاء والثروة المعدنية غير محدودة . فكان أن ظهر علم جديد آخذ في التبلور هو علم دراسات البحار الذي يتوقع أن يكون ذا تأثير كبير على مستقبل البشرية ورفاهيتها.

ولكشف النقاب عن ثروات البحار ، يعكف رجال الصناعة حاليا على تطوير أنواع جديدة من أجهزة الغوص تشبه في تصميمها المخلوقات التي تزخر بها أعماق البحار ، وتعتبر هذه الأجهزة طلائع لأساطيل من السفن الغواصة التي ستقوم في المستقبل بارتياد الأعماق والكشف عن الثروات البترولية والمعدنية فيها فضلا عن زراعة قيعان المحيطات لانتاج كميات كبيرة من الأغذية .

كما يعتقد أن صناعة الزيت ستستخدم هذه السفن الغواصة في أعمال التنقيب عن الزيت في المناطق المغمورة . وهي تستخدم حاليا للأبحاث المتعلقة بعلم دراسة البحار والمحيطات . وقد استطاعت احدى هذه السفن الغواصة وتدعى « ديب كويست » أن تعمل في مناطق يبلغ عمق الماء فيها نحو ٢٥٤٠ مترا في المحيط الهادي .

وهذه الغواصات مزودة بأجهزة الكترونية ملاحية وبشبكة انارة قوية تضيء أشد مناطق البحار ظلمة ، وبأذرع متحركة تستخدم في الحصول على عينات من قيعان المحيطات أو في انتشال أجسام تزن مئات الأرطال . وهناك العديد من الشركات تقوم بنشاط ملحوظ في استخدام هذا النوع من الغواصات في مجالات عديدة . فالغواصة « الوميناوت » ، مثلا ، هي عبارة عن سفينة طولها نحو ١٦ مترا صممت لتعمل تحت عمق أقصاه ٥٠٠٠ متر ، وقد استعملتها البحرية الأمريكية لانتشال القنبلة الهيدروجينية التي سقطت عام ١٩٦٦ في بقعة من البحر الأبيض المتوسط بالقرب من اسبانيا يبلغ عمق الماء فيها نحو ٩٠٠ متر . أما الغواصة « آشره » التي صممت لحساب جامعة «بنسلفانيا» فانها تستخدم في أغراض التنقيب عن الآثار .

أما في الوقت الحاضر ، فان هذه السفن الغواصة تستخدم بوجه خاص للبحث عن الموارد الطبيعية . فالمعروف عن البحار انها تحوي نحو ٥٠ عنصرا من العناصر الطبيعية من بينها الفوسفور الذي يصلح كسماد ، والذهب والنحاس والقصدير والبلاتين والفضة والماس والكروم والحديد والتيتانوم واليورانيوم وغيرها . ويجري الآن استخراج كميات كبيرة من المواد الكيماوية الحيوية من البحار . فمثلا يستخرج نحو ٣٥ مليون طن من كلوريد الصوديوم أوملح الطعام سنويا، و١٠٢٠٠٠ طن من البروم ، و ٧٩٦٠٠٠ طن من المغنيزيوم . وتقدر احتياطات الكبريت الكامنة في الأملاح

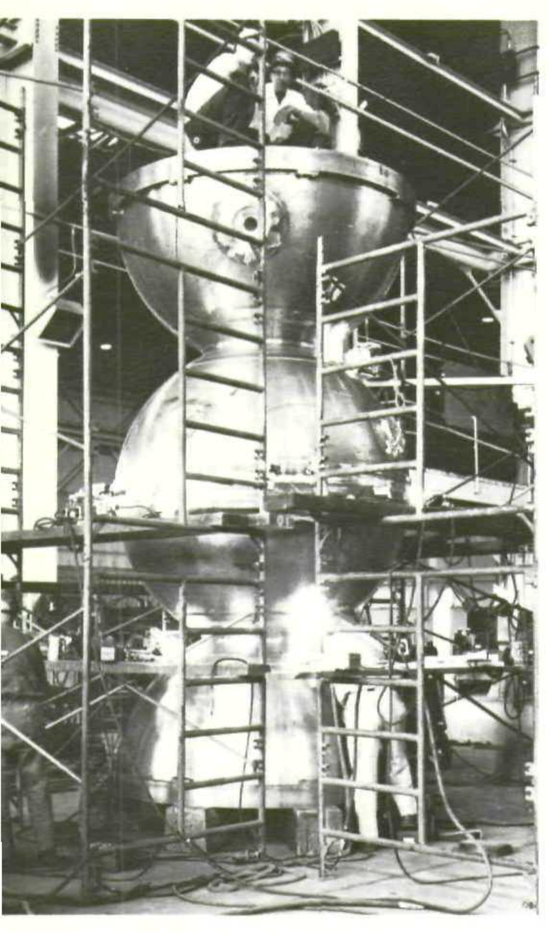


المتراكمة تحت البحار بحوالي ٣٧ مليون طن هذا بالاضافة الى ما يمكن استخراجه من المركبات الكبريتية الناجمة عن انتاج الزيت من المناطق المغمورة .

ويؤمل أن يتطور استخدام هذا النوع الجديد من الغواصات في مختلف المجالات وذلك نتيجة لتطور علم دراسة المحيطات . ويرجح أن تشكل هذه الغواصات جانبا من أسطول الشركات التي تقوم بأعمال التنقيب عن الزيت المحتمل وجوده في قيعان البحار والمحيطات . ويبلغ معدل انتاج الزيت من الحقول المغمورة في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها حوالي مليون برميل يوميا أو ١٠ في المائة من مجموع انتاجها . وتسهم حاليا مجموعة من شركات الزيت العالمية ومن بينها شركة « صن » في البحث عن تجمعات الزيت والغاز في المناطق المغمورة على طول ساحل الأطلسي بين ولايتي « فلوريدا » و « مين » . وتتجه الرغبة أيضا الى البحث عن هذه التجمعات في مناطق أخرى مغمورة من ولايتي كاليفورنيا وألاسكا .

ويشكل الزيت المستخرج من المناطق المغمورة بالماء حوالي ١٦ في المائة من مجموع انتاج العالم من الزيت . ويبلغ معدل انتاج العالم الحر للزيت في المناطق المغمورة حوالي ٥,٦ مليون برميل يوميا من مجموع الاحتياطي الذي يبلغ نحو ٨٥ بليون برميل . ومع هذا فلا بد للبحث عن المزيد من الاحتياطي لمواجهة طلبات الاستهلاك المتزايدة . ويعتقد أن الولايات المتحدة الأمريكية ستحصل في عام ١٩٨٠ على ٤٠ في المائة من مجموع استهلاكها للزيت من الحقول المغمورة . الا أن الوصول الى عمق أكثر من ٢٠٠ متر ، وهو الحد الأقصى للحفر التقليدي الحالي . يستدعي تطويـــر دراسة تكنولوجية كاملـــة . ومناطق العمل التي يجرى عليها هذا النوع من الحفر هي منصات الحفر التي يكلف بعضها حوالي ١٢ مليون دولار . وهذه المنصات تستخدم لاستخراج الزيت من المياه الاقليمية في ٣٥ دولة من العالم .

ويجري البحث الآن عن أساليب جديدة لتطوير حقول الزيت ومناطق التخزين في أعماق البحار . وقد سبق أن صممت مجموعة من المعدات والأدوات التكنولوجية التي ستجعل الانتاج من الحقول في المياه العميقة أمرا ممكنا . وهي الآن جاهزة لاستخدامها في أعمال الحفر في أعماق البحار . وتشمل هذه المعدات تركيبات الحفر المستخدمة حاليا لحفر آبار الزيت واعدادها للانتاج من على جهاز حفر عائم وصمامات آبار لمراقبة جريان الزيت . وتقوم بعض الشركات حاليا بتجارب لبناء خزانات من المطاط الاصطناعي في قيعان المحيطات ، كما يفكر الأخصائيون في استخدام التجاويف الأرضية التي نجمت عن التفجيرات النووية للغرض نفسه . وبالاضافة الى تطوير ساحات الخزانات تحت الماء فان دراسات واسعة تجرى الآن لتصميم معامل لفرز الغاز من الزيت في الوقت نفسه .



سفينة الغوص « Deep Quest » ، وهي من بين أجهزة الغوص المتنوعـــة التي يجري العمل عـــلى بنائها لاستخدامها في نقل رجال الأبحاث والمعدات الى قيعان المحيطات . وهي مؤلفة من ثلاث غرف ومجهزة بمعدات تسمح لرجال الأبحاث بممارسة مهامهم تحت سطح الماء بسهولة تامة .

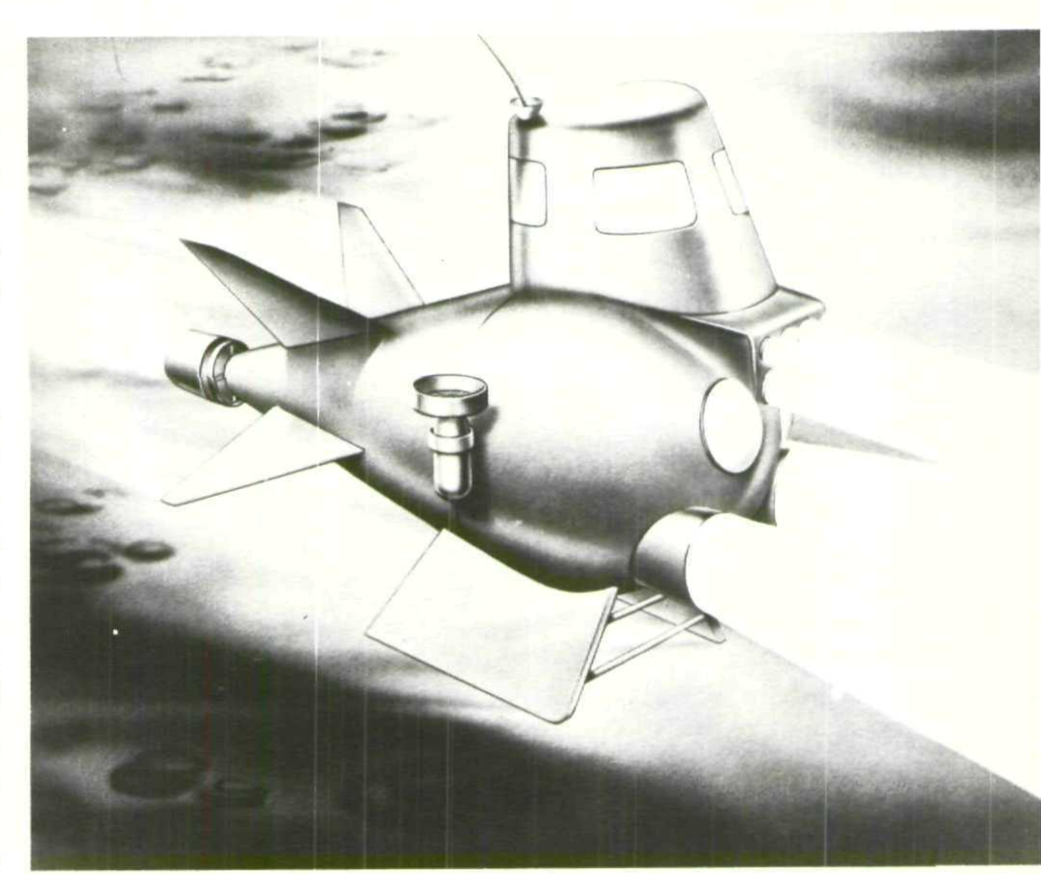
هكذا تبدو مرافق الزيت في قيعان المحيطات في المستقبل كما تخيلها الفنان . ويظهر في الوسط
نموذج للسفينة الغواصة « Aluminaut » حاملة وراءها عددا من الأوعية الخاصة بمستخرجات الزيت .
ويبلغ طولها ٥١ قدما ، وهي تستطيع الغوص الى عمق أقصاه ١٥٠٠٠ قدم

ومما يثير الدهشة والاعجاب احتمال وجود غواصات وقوارب تحمل رجالا الى قيعان البحار حيث تستخدم عمليات انشاء محطات للحفر ومنشآت لخدمات الانتاج في الأعماق . وتصنع هذه الغواصات من معادن تتحمل الضغط الهائل الذي تتعرض له تحت الماء ، فقد صنع هيكل الغواصة « ديب كوست » الذي يبلغ سمكه حوالي بوصة من نوع خاص من الفولاذ ليكون مقاوما لضغط الماء الذي يبلغ معدله حوالي ٣٥٠٠ رطل على البوصة المربعة أو أكثر من ٢٣٠ مرة من ضغط الماء على مستوى سطح البحر . أما الغواصة « كلاد » التي تزن ٥٠ طنا فقد صنع هيكلها الخارجي من الألمنيوم المقوى ، و تحمل مجموعة من البحارة مدة ٤٨ ساعة وهي محملة بما زنته ٧٠٠٠ طن . ويمكن استعمالها الى جانب الحصول على عينات من قيعان البحار ، في عدة أغراض للبحث العلمي والمواصلات . وتحتاج هذه الغواصة الى قبطانين لقيادتها وتوجد بهـا غرفتان للمراقبة .

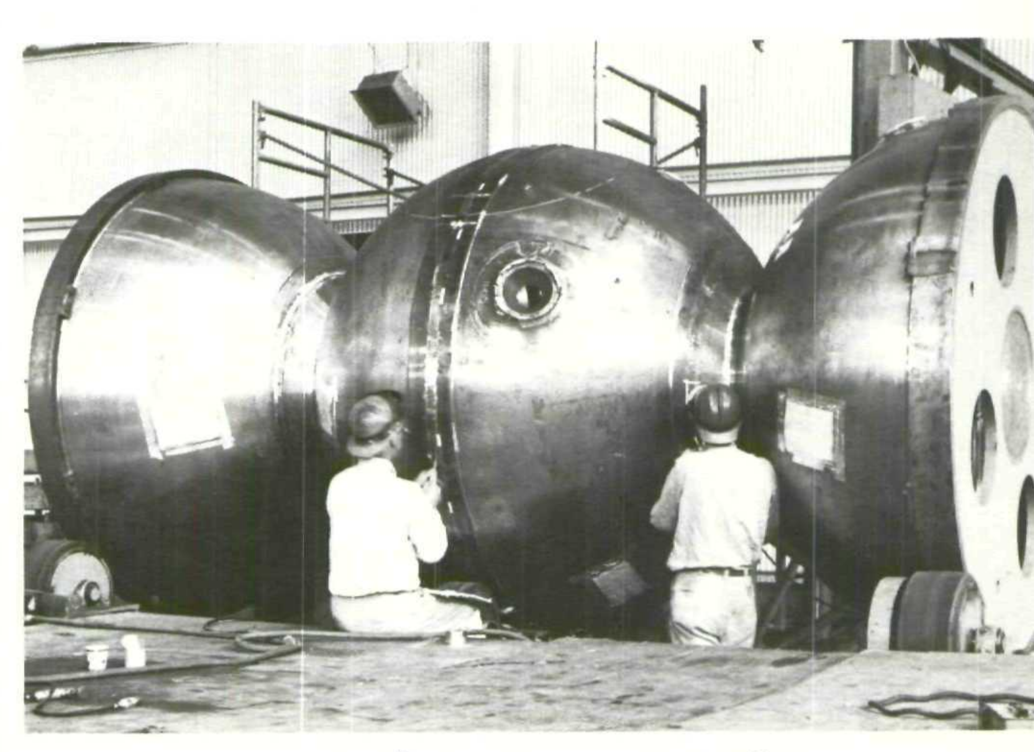
وبالرغم من أن البحث في أعماق البحار لا يزال في بداية عهده ، فانه من المحتمل أن يأتي يوم يزاحم فيه أبحاث الفضاء . فقد منحت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية مساعدات مالية لتنفيذ برامج دراسة البحار واستغلال ثرواتها الكامنة . وفي عام ١٩٦٧ اقترحت الولايات المتحدة الأمريكية تأسيس برنامج دولي يهدف الى التنقيب عن مصادر الثروة في أعماق المحيطات خلال السبعينات الذي يعطى حاليا أهمية بالغة من قبل الدول الأخرى . والدراسات ما زالت آخذة في التطور لتحديد مدى مساهمة الدول المعنية بالأمر في هذا البرنامج .

والى جانب الصعوبات الطبيعية الناتجة عن شدة الحرارة والضغط تحت الماء ، هناك مشكلة عويصة يجب التغلب عليها وهي التكاليف الباهظة في صنع الغواصات المستخدمة في تطوير علم دراسة المحيطات . فالنماذج الحالية تتراوح تكاليفها بين مليون و ١٠ ملايين دولار . وتتراوح أجرة استعمالها بين ٦٠٠٠ الى ١٠٠٠٠ دولار يوميا . غير أن التصميمات الجديدة التي تجري دراستها تهدف الى تخفيض تكاليفها بحيث تكون اقتصادية وعملية لاستخدامها في أغراض الصناعة على أن تكون في الوقت نفسه محتفظة بأقصى درجة من الفعالية والسلامة ■

اعداد : عيسى مسلم



رسم لاحدى مركبات الغوص التي يعكف العلماء على تصميمها لاستخدامها في التنقيب عن الزيت تحت سطح الماء في المستقبل .. وهي تتسع لشخصين وتستطيع الغوص الى عمق مقداره ٢٠٠٠ قدم .



نموذج آخر لمركبة الغوص « Deep Quest » أثناء مراحل التصنيع ، ويبلغ طولها ٤٠ قدما وحمولتها ٥٢ طنا طوليا .

هل رأيتها ؟

للشاعر أحمد قنديل

هل رأيتها ..
هل عرفتها ؟
من دلالها ، في حديثها
من عيونها في بريقها
من أفانين سحرها
وابتسامات ثغرها
من خطاها اذا مشت
بين أتراب سربها ..
انها .. انها
من أحبّها
من اذا ما ذكرتها
قال قلبي مصفّقا :
انّها دون غيرها
فرحتي ، فرحتي
ونصيبي من الوجود
فهي فيه حبيبتي !

* * *

انّها طفلتي التي
عشت فيها كهولتي
كلّما مسّني الجوى
ظامىء القلب ، ما ارتوى
مستعيرا شبابها
زينة الفكر والحياه
مستعيدا بحسنها
رونق الأمس في ضحاه
كلّما قال عشّنا
انني ها هنا .. هنا
ذبت في نفح عطرها
مستضيئا بنورها
مستجيرا بنارها
من دجى العمر ، في شتاه
لاح طيفا ولا أراه
بين أمسي وليلتي

* * *

كيف أنسى لقاءها
أو لقائي بحبها

* * *

ذات يوم لمحتها :
في رداء امازها
ووشاح بها زها
كلما مال هزّها
فأشاحت بوجهها
وأعادت وشاحها
داعبته يد الهوا
بعثرت بعض شعرها
رغبة في عبيرها
فالتفتنا لها ، لها
والتقينا بها ، بها
والتقت في مدارها
كلّ حين حقيقتي !

* * *

ويل قلب ممزق
تاه بالأمس في دجاه
في صحاري شبابه
ان شكى الحبّ أو شدا
واقفا ، عند بابه
ما تسامى ولا سما
للهوى في رحابه
عاش يرجوه ، ما رجا
ظامىء من سرابه
عاشقا ، شفّه النّوى
سادرا ضلّ ما اهتدى
وغريبا ، كغربتي
ليته اليوم ذاكر
من سراديب صبوتي
بعض ما فات وانتهى
باهت الطّيف والرّؤى
في متاهات رحلتي !!

حصاد الكتب

حصاد الكتب العربية في الأمصار المختلفة حصاد وفير، والمطالعة الدقيقة لها جميعها تبعة تنوء بها الهمة وتستعصي على طموح الطامحين في ميادين المعرفة . فلا مفر إذن من الانتقاء، ومن مراعاة التنوع في المادة والجدة في البحث، مع توخي تمثيل الأقطار العربية كلما كان ذلك ميسورا



الملكة زنوبيا

هذه هي المسرحية الشعرية الثالثة للشاعر عدنان مردم بك . وقد سبقتها « غادة أفاميا » و « العباسة » . ويحسب البعض أن الشاعر عدنان مستمسك في أرستقراطية كاذبة برتبة « البكوية » المقترنة باسمه ، ولهذا يبادر مصححو الصحف الى حذفها ما دامت هذه الرتبة ، التركية الأصل ، قد ألغيت في بلاد شتى . ولو علم أولئك المصححون ان لقب الأسرة الذي لا حيلة معه أو فيه هو « مردم بك » لتركوا الشاعر ينعم باسمه الكامل بدلا من أن يبتروه بترا !

ومسرحية « الملكة زنوبيا » تروي في فصول شعرية أربعة قصة هذه الملكة التي استطاعت أن تشيّد في تدمر ملكا عظيما واسعا ، وأن تدحر امبراطورية روما بكل مجدها وأن تغلب الفرس الأعاجم . ولكن أهل السوء والمشّائين بالخيانة جعلوا الزباء تنهزم في معركة تالية مع الرومان ، وأبت بطولتها الا أن تفتدى بروحها أهل الحمى وتبذل نفسها راضية بعدما تركت وراءها حضارة تشهد بمآثرها . وسجلا ناصعا ينطق ببطولتها وحنكتها .

والشاعر عدنان مردم بك لا يحدثنا عن مصادره التاريخية التي اعتمدها في نظام هذه المسرحية الشعرية . وان كان قال ان المؤرخين أجمعوا على الاشادة بسيرة هذه الملكة العظيمة التي بسطت سلطانها على بلاد مترامية ، وأقامت عمرانا مستبحرا وأحاطت نفسها دائما بكوكبة من صفوة الفلاسفة ورجال الفكر والعلم تسترشد بآرائهم وتهتدي بحكمتهم وتركن اليهم في العصي من الأمور وتنشد فطنتهم في الملمّات . ولا ريب في أن الشاعر قد أحسن اختيار موضوعه وأحسن توزيع مادته الشعرية توزيعا مسرحيا من حيث الفصول والمشاهد ، كما أنه أحسن ابراز القيم الخلقية والفكرية التي كانت زنوبيا غيورا عليها . فالشاعر مستنكر للبغي ، مستنصر للخير ، معل قدر الخلق والفكر ، مشيد بالبطولة والفداء ، مستنهض للهمم ، داع الى التفاؤل . وكل هذا قد أعرب عنه الشاعر في مواضع شتى ، ثم في القصيدة الوداعية التي أجراها على لسان ملكة تدمر ، وفيها تقول :

المجد في ذكر جميل كـان ينضح بالشذا
أنا من تحدى بالصوارم كل طاغوت بغى
وحطمت هالة مجده ونثرتها أيدي سبـا
وأشدت للأجيـال نهجا عبقريـا يحتـذى
وأبنت أنّ رسالـة الصحراء يدعمها الهـدى
أو لم نقم في « تدمر » ملكا يطلّ على السهى ؟
وبنا ازدهى وجه المروءة واستنار بنـا الحجى ؟
واعلم ، وان جرح الزمان ، سيعقب الليل الضحى

من القصص العالميّ

نشرت اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر أخيرا كتابا للأديب الأردني عيسى الناعوري ، عنوانه « من القصص العالمي » ترجم فيه أكثر من ثلاثين أقصوصة عن الآداب الغربية لأدباء ، بعضهم معروف مثل : دي موباسان ، وموارفيا ، وتشيكوف ، وهمنجواي ، وكاثرين مانسفيلد ، وبيرل باك ، وأناتول فرانس ، وبعضهم لم يلق مثل هذا الحظ من الشهرة مثل الأديب السويدي سودر بيرغ ، والأديب الاسباني دي ألاركون ، والأديب المجري ميكزات ، والأديب الروماني سيلفا ، وهلم جرا .

واحتشد لمراجعة هذه المجموعة رهط من الأساتذة هم محمود سيف الدين الايراني وجريس القسوس وحسام الدين اللحام . وقد شاعت بدعة مراجعة الكتـب حتى لاحظنا في مسرحيـات « راسين » المترجمة أنها باتت تحمل اسم مترجم واسم مراجع واسم فاحص ! وكل هذا ، مـع الأسف يشكك في قيمة الجهد الأصلي الذي اضطلع به المترجم ، ويورث القارىء اعتقادا بأن هناك علة أو نقصا أريدت مداراته بكثرة المراجعين الفاحصين . ولا نحسب أن هذا هو المقصود بالمراجعة والفحص وما اليها من الأوصاف المشابهة.

ومثل كتاب الناعوري يحكم عليه مـن ناحيتين : من ناحية الذوق الذي به اختيرت هذه الأقاصيص ، ومن ناحية الترجمة دقة ووضوحا .

أما الاختيار ، فلا بد أن المترجم قد قرأ عشرات من الكتب ومئات من الأقاصيص ، كما ذكر في مقدمته ، ليختار هذه النماذج بموضوعاتها المنوعة واستقلالها الخاص ، وفيها جميعا طرافة ومتعـة ، وربما سخرية . أما من حيث الترجمة ، فهي مصقولة بعد المراجعة ، وأحسبها كانت مصقولة قبل المراجعة ، كما هو العهد بأسلوب الناعوري . فضلا عن أن هذه الأقاصيص ، على قدر ما أحيط به من علم ، لم تسبق ترجمة غالبيتها الى العربية ، فجاءت ترجمتها اضافة الى الرصيد القصصي المترجم المتاح في اللغة العربية .

أخبار الكتب

* أصدر معالي الأستاذ أحمد زكي يماني وزير البترول والثروة المعدنية في المملكة العربية السعودية كتابا باللغة الانجليزية عنوانه « الشريعة الاسلامية والمشكلات المعاصرة » .

* أصدر البحاثة الأستاذ عبـد القـدوس الانصاري دراسة عابرة عنوانها « أربعة أيام مع شاعر العرب عبد المحسن الكاظمي » ، وهي تعطي ملامح عن شاعريته وعن حياته وبيئته التي عاش فيها .

* أصدر البحاثة الأستاذ حمد الجاسر كتابا نفيساً عنوانه « أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع » .

* صدر الجزء الأول من كتاب المعجم الجغرافي للعلامة محمد بن أحمد العقيلي ، وقد قدم له الأستاذ حمد الجاسر .

* صدر لفقيد الضاد عباس محمود العقـاد كتاب جديد عنوانه « ردود وحدود » ويتضمن طائفة من مقالاته غير المنشورة ، كما صدر الجزء الثالث من كتابه « اليوميات » .

* من الكتب التي ظهرت عن الخليج العربي كتابان هما « الملاحة في الخليج العربي » للأستاذ عيسى أحمد النشمي ، و « أوراق من دفتر مسافر الى الخليج العربي » للأديبة هداية سلطان السالم .

* أصدر الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي كتابا في جزأين عنوانه « قصة الأدب المهجري » .

* استكمل الأستاذ عبد الكريم الخطيب الجزأين السابع عشر والثامن عشر من كتابـه « التفسير القرآني للقرآن » . كما أصدر الأستاذ محمد جواد مغنية الجزء الرابع من « التفسير الكاشف » ، وأصدر الأستاذ محمد اسماعيل ابراهيم كتابا بعنوان « معجم الألفاظ والأعلام القرآنية » . وكذلك صدر حديثا كتابان يعالجان أمور الدين هما « الايمان » للدكتور محمـد البهي ، و « الدين والعلم الحديث » للأستاذ ابراهيم محمد عبد الباقي . ومن قصص الأدب الروائي القرآني صدر كتاب « من قصص الأنبياء في القرآن » للأستاذ سعد صادق محمد .

* أصدر الأستاذ عبد الكريم الجهيمان الجزء الثالث من كتابه « أساطير شعبية من قلب جزيرة العرب » .

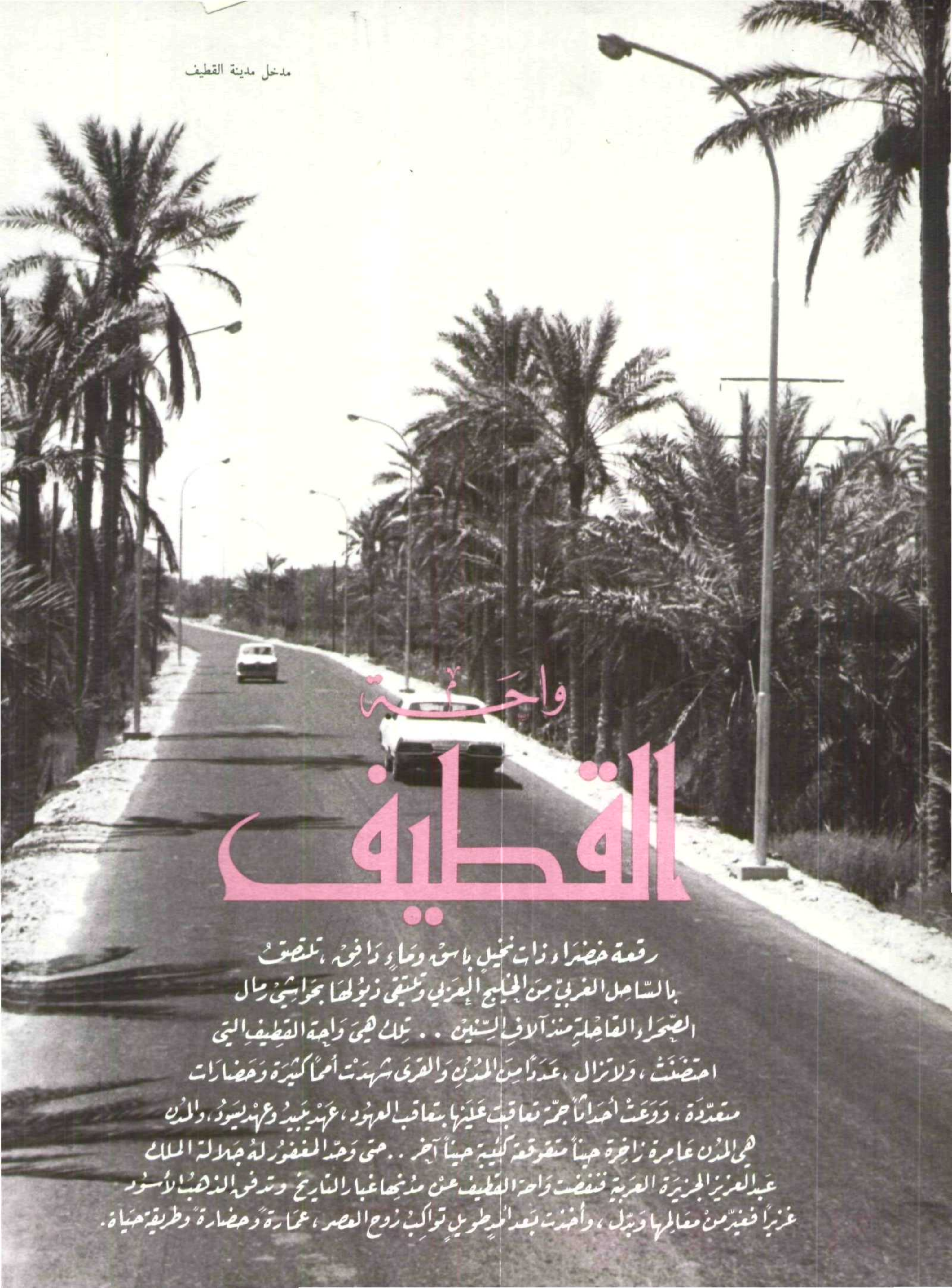
* من دواوين الشعر الجديدة التي صدرت مؤخرا « أغاني عشتار » للشاعرة العراقية لميعة عباس عمار ، و « أنفاس الشباب » للأستاذ محمد رضا آل صادق ، و « أصفار على اليسار » للشاعر عبد اللطيف الخشن ، وديوان زجلي للأستاذ عجاج المهتار عنوانه « الزوادة » .

* أصدر العلامة الأستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم طبعة ثالثة منقحة مزيدة من « ديوان أمرىء القيس » .

* صدرت دراسة كبيرة عن « شعر الهزليين في العصرين الجاهلي والاسلامي » للدكتور أحمد كمال زكي .

* صدرت طبعة ثانية من كتاب « التراجم والسير » للأستاذ محمد عبد الغني حسن ، كما ظهرت من كتب التراجم هذه الطائفة من الكتب : « مالك بن أنس — امام دار الهجرة » للأستاذ عبد الحليم الجندي ، و « خالد الفرج — حياته وآثاره » للأستاذ خالد سعود الزيد ، و « لغز أبي العلاء » وهو بحث للجوانب العلمية للمعري وضعه الدكتور محمد يحيى الهاشمي ، ومسرحية عن حياة « الجاحظ » للدكتور أحمد مكي .

* من كتب الأدب الروائي التي صدرت مؤخرا هذه الطائفة : « مأساة الانسان » لامرى موداتش ترجمها الأستاذ عيسى الناعوري ، و « كوميديات بلاوتوس » ترجمها عن اللاتينية الأستاذ أمين سلامة ، و « بيتون بليس » لجريس ميثا لياس وترجمة الأستاذ عمر عبد العزيز أمين ، ومسرحية « سمك عسير الهضم » لمانويل جاليتس وترجمة الدكتور محمود علي مكي ، و « حكايات عربية » للأستاذ محمد يوسف ، و « ظلال من الماضي » للأستاذ محمد طلبة رزق ، ومسرحية « سليمان الحلبي » للأستاذ الفريد فرج ، و « من مشارف القمم » للأستاذ أسعد ذبيان ، و « دماء على عنق المساء » لسالم العزاوي ■



مدخل مدينة القطيف

واحة القطيف

رقعة خضراء ذات نخيل باسق وماء دافق، تلتصق بالساحل الغربي من الخليج العربي وتلتقي ذيولها بحواشي رمال الصحراء القاحلة منذ آلاف السنين .. تلك هي واحة القطيف التي احتضنت، ولاتزال، عدداً من المدن والقرى شهدت أمماً كثيرة وحضارات متعددة، وودعت أحداثاً جمة تعاقبت عليها بتعاقب العهود، عهد يبيد وعهد يسود، والمدن هي المدن عامرة زاخرة حيناً متقوقعة كئيبة حيناً آخر .. حتى وحد المغفور له جلالة الملك عبدالعزيز الجزيرة العربية فنفضت واحة القطيف عن مدنها غبار التاريخ وتدفق الذهب الأسود غزيراً فغير من معالمها وبدل، وأخذت بعد أمد طويل تواكب روح العصر، عمارة وحضارة وطريقة حياة.

القطيف بفتح أوله وكسر ثانيه على وزن « فعيل » من قطف الثمر ، أي قطعه . ولعله محرف عن الاسم اليوناني « كيتوس Cateus » الذي ذكره المؤرخون القدامى لهذه المنطقة . وقد عرفت المنطقة الممتدة على ساحل الخليج من البصرة الى عمان بأسماء كثيرة ، أشهرها : الخط ، وهجر ، والبحرين ، وان كانت هذه الأسماء تطلق حاليا على أقاليم معينة من هذه المنطقة ، فتعرف جزيرة أوال باسم البحرين ، والاحساء باسم هجر ، والقطيف باسم الخط . ويذكر بعض المؤرخين أن الخليج العربي كان يسمى « بحر القطيف » و « خليج القطيف » ، مما يدل على أن هذه المنطقة قد بسطت سيطرتها فيما مضى على المناطق القريبة المجاورة .

وتقع القطيف في الجزء الشرقي من المملكة العربية السعودية على ساحل الخليج العربي عند خط الطول ٥٠° وخط العرض ٢٦,٣٢° . ويذكر المؤرخ « المسعودي » أن مدينة القطيف القديمة كانت تبعد نحو ميل واحد عن البحر . وورد ذكرها في « معجم البلدان » لياقوت الحموي كقصبة منطقة البحرين وأعظم مدنها . أما ابن بطوطة فقد وصفها بأنها مدينة ذات نخل كثير . وقد تردد اسم القطيف في الشعر العربي في أكثر من موضع . قال عمر بن اسوى :

وتركن عنتر لا يقاتل بعدها
أهل القطيف قتال خيل تنفع

وقال حمد بن المعنى العبدي :

نصحت لعبد القيس يوم قطيفها
وما خير نصح بعد لم يتقبل
فقد كان في أهل القطيف فوارس
حماة اذا ما الحرب سدت بيذبل

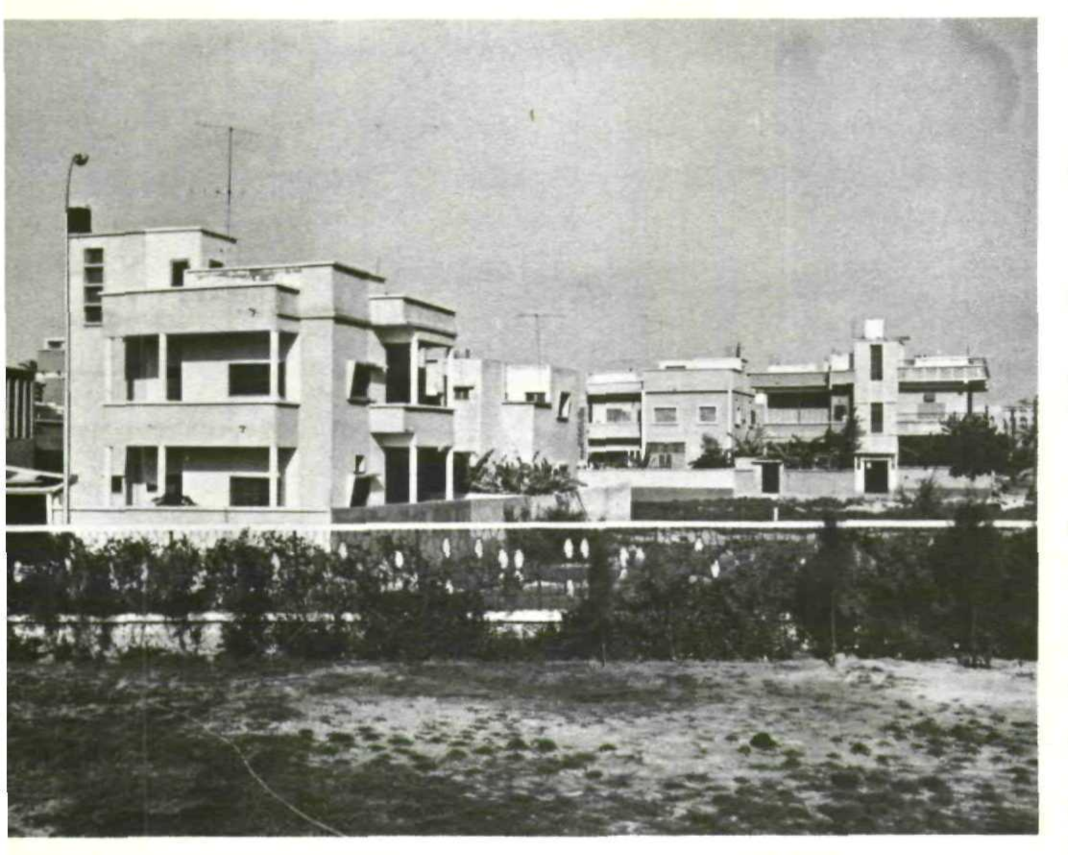
وروى « الحفصي » أن القطيف كانت قرية لجذيمة عبد القيس .

مناخ القطيف قاري ، شديد الحرارة صيفا ، معتدل البرودة شتاء . وتبلغ الحرارة أشدها في هذه المنطقة في أواسط الصيف حين تصل الى نحو ٤٠ درجة مئوية في حين تنخفض الى نحو ٥ درجات مئوية في أواسط الشتاء. وصيف القطيف طويل قائظ رطب ، يبدأ منذ أوائل مايو ولا يكاد ينتهي الا مع نهاية سبتمبر . أما شتاؤها فلطيف قليل الأمطار يبدأ من نوفمبر وينتهي في أوائل مارس .

وتحيط بمدينة القطيف واحتها المشهورة بزراعة النخيل وأصناف الفاكهة والخضرة ، وتبلغ مساحة هذه الواحة حوالي ٦٠ ميلا مربعا ، وتتفرع عنها عدة مدن وقرى يزيد عددها على العشرين .



منظر ليلي لأحد شوارع مدينة القطيف .



أحد الأحياء السكنية في مدينة القطيف ويتألف من بيوت بناها موظفو الشركة السعوديون بموجب برنامج أرامكو لتملك البيوت .

مدينة القطيف

تقوم مدينة القطيف الحديثة في موقع المدينة القديمة التي يردّها المؤرخون الى ما يزيد على ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد ، ويستدلون على ذلك بالآثار والخرائب التي وجدت في ذلك الموقع . على أن مدينة القطيف المعاصرة مترامية الأطراف ، بخلاف المدينة القديمة (القلعة) التي كانت تعرف الى عهد غير بعيد بقصبة القطيف ، والتي لم تعد سوى حي قديم من أحياء المدينة المعاصرة .. ذات أبنية متلاصقة وطرق ضيقة . وقد كانت قديما محاطة بسور يبلغ سمكه نحو مترين وارتفاعه نحو عشرة أمتار ، وكانت تقوم على أركانه أحد عشر برجا تتصل ببعضها بواسطة جسور علوية ، وكان فيه أربعة أبواب تفتح نهارا وتغلق ليلا . وقد أزيل هذا السور تدريجيا خلال العقد الأخير من هذا القرن ، وذلك لاستتباب الأمن في المنطقة ، ولازدياد عدد السكان ، وامتداد رقعة العمران الى خارج المدينة القديمة ، فنشأت أحياء : البستان ، وباب الساب ، والمدني ، والمسعودية ، وأم الحزم ، ومنطقة البحر . واتصلت هذه الأحياء بالأحياء والقرى القديمة التي كانت تحيط بالقلعة وتنافسها أحيانا وتهادنها أحيانا أخرى ، فشكلت معها المدينة المعاصرة . وهذه الأحياء القديمة هي : الشريعة ، وباب الشمال ، والكويكب ، والمدارس ، والدبابية ، والجراري ، والشويكه ، ومياس .

ويعمل معظم سكان القطيف في فلاحة الأرض والتجارة وصيد السمك ، وبينهم عدد كبير من موظفي الحكومة وشركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو) . وبعض بيوتهم مشيد بالحجارة والجص ، وهو طين بحري يشوى كي يجف ، وتدخل جذوع النخيل وسعفه في أجزاء كثيرة من البناء كالسقوف والأبواب والنوافذ ، بيد أن بيوت القطيف الحديثة وعماراتها الشاهقة مشيدة بالاسمنت المسلح على أحدث طراز .

مجتمع القطيف

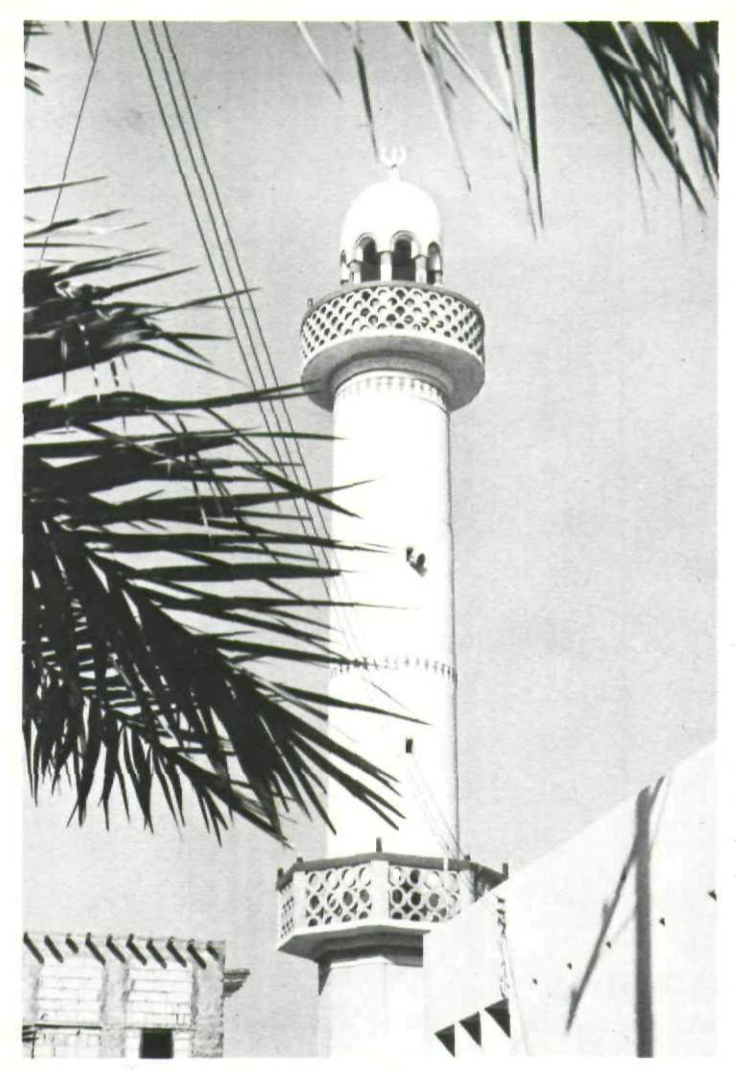
ولمجتمع مدينة القطيف ، عاداته وتقاليده الخاصة التي تتميز واضحة في المناسبات العامة أكثر من غيرها . ففي مناسبة الزواج مثلا ، درج القطيفيون – فيما مضى – على ارسال كمية من الأسماك الى بيت الخطيبة ابان الخطوبة ليتم توزيعها على الجيران والأصدقاء اعلانا لذلك . أما في السنوات الأخيرة فقد استعيض عن الأسماك بالحلوى . كما درجت العادة – فيما مضى – على أن يخرج العريس وسط مجموعه من المدعوين من أقاربه وأصدقائه للاستحمام في احدى العيون ، وذلك قبل الزفاف بيوم واحد ، حتى اذا ما استحم ارتدى ثوبا وقحفية وعقال قصب وعباءة خفيفة محلاة بالزري ، وشد في وسطه خنجرا ، وتقلد سيفا ، وامتطى صهوة فرس مسرجة عائدا الى منزله محفوفا بالجموع التي ترقص رقصة العرضة على نقرات الدفوف والطبول . وفي ليلة الزفاف كانت تفرد الموائد للمدعوين ، يسار بالعريس بعدها على أنغام الدفوف والطبول الى منزل عروسه . أما أتراب العروس فيمسكن عن الغناء والضرب على الدفوف مع انصراف المدعوين . حتى اذا ما زف العريس الى عروسه مكث في منزله أسبوعا كاملا لا يبرحه الى السوق أو غيرها ، وخصص خلال ذلك ساعتين أو أكثر كل يوم لتقبل التهاني بعد صلاة العصر أو صلاة العشاء .

تلك كانت عادة دارجة متوارثة .. بيد أنها تلاشت أو كادت ، اذ لم يعد العريس يمتطي فرسا أو يتقلد سيفا أو يتمنطق بخنجر الا فيما ندر . أما الكثرة الكاثرة من شبان اليوم فيستعيضون عن الفرس بسيارة للذهاب الى عين الماء والعودة منها تحف بها سيارات عديدة تقل جموع المدعوين . ويؤثر كثير من الشباب في هذه الأيام السفر الى الخارج لقضاء «شهر العسل» .

وبالاضافة الى ذلك يقيم أهالي القطيف احتفالات في منتصف شهر شعبان ومنتصف شهر رمضان من كل عام يدعونها «الناصفة» ، يبتهج بها الصغار ، اذ يقومون بجمع الحلوى والفول السوداني من البيوت .

أحد التراكتورات الحديثة التي تستخدمها محطة الأبحاث الزراعية بالقطيف لحراثة الأرض .





« انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر » مئذنة أحد المساجد في قرية سنابس بجزيرة تاروت في واحة القطيف .



جني ثمار البلح أمر يتطلب خبرة ومهارة .

الخدمات الاجتماعية في القطيف

يرعى الحياة الاجتماعية في القطيف مركز الخدمة الاجتماعية بقطاعاته الفنية الثلاثة ، الاجتماعي والثقافي والصحي . أما القطاع الاجتماعي فيعمل في المجالات التالية :

* مجال مجلس الحي : وهو مجلس منتخب من المركز وممثل لأهالي القطيف . ويقوم بالتعاون مع أسرة المركز بالتخطيط للمشاريع وتنفيذها . ومن مشاريعه الرامية الى اسداء خدمات مباشرة للأهالي ، مشروع دار الطفولة وقد بلغ عدد منتسبيها خلال العام الماضي نحو ٢٠٠ طفل وطفلة . ومشروع ادخال التحسينات الصحية والعمرانية على بعض المنازل ، وكمشروع معونة الشتاء الذي يقام سنويا .

* مجال الأندية الريفية : ومن أهم مشاريعه اقامة مركز صيفي لرعاية الشباب أثناء العطلة الصيفية ، وتنظيم الدورة الصيفية التعليمية للطلاب وعقد الندوات الأدبية والقاء المحاضرات الثقافية المختلفة ، وتنظيم الرحلات ، وتشجيع الهوايات والفنون .

* مجال الجمعيات التعاونية والخيرية : ويعمل القطاع في هذا المجال بالتعاون مع خمس جمعيات خيرية أخرى ، يزيد عدد أعضائها على ٨٠٠ عضو ، على تقديم مساعدات عينية للأسر المحتاجة ، واسداء خدمات اجتماعية وصحية للمجتمعات التي أسست فيها ، وهي : الدبابية ، وتاروت ، والقديح ، والعوامية ، وصفوى . أما في مجال الجمعيات التعاونية ، فيرعى جمعية تعاونية متعددة الأغراض بالقطيف ، يشارك في عضويتها نحو ١٤٠ عضوا ، كما يجري تسجيل جمعية مماثلة في صفوى . وتقوم هاتان الجمعيتان بتوفير المواد الاستهلاكية للأعضاء والمواطنين على حد سواء .

* مجال البحوث الاجتماعية : ويقوم القطاع الاجتماعي في المركز بالتعرف الى المشكلات البيئية والاجتماعية في المنطقة ودراستها بغية وضع خطة كفيلة بحل تلك المشكلات ورفع المستوى الاجتماعي بصفة عامة .

ويشمل القطاع النسائي دارا للأمهات في المركز يؤمها يوميا نحو ٥٠ فتاة وسيدة ضمن برنامج مكافحة الأمية ، والتدرب على أعمال التدبير المنزلي والحياكة واقتصاديات الأسرة .

وبالاضافة الى ذلك تقوم اخصائية اجتماعية بزيارات منزلية بغية التوعية والارشاد الاجتماعي .

أما القطاع الثقافي في المركز فيسهم بالاشراف على بعض مدارس مكافحة الأمية ، وتعميم المكتبات المدرسية والمكتبات المتنقلة ، كما يسهم في بعض النشاطات الثقافية المدرسية والمقاصف التعاونية .

وفي المجال الصحي يقوم المستوصف التابع للمركز بتقديم الخدمات العلاجية لنحو ٢٠٠ مريض يوميا . كما يقدم الخدمات الوقائية من تطعيم وارشاد .

ومن ناحية اجتماعية أخرى ، افتتح بالقطيف عام ١٣٨٣هـ مكتب للضمان الاجتماعي من شأنه صرف معاشات دورية للأيتام والأرامل والعاجزين عن العمل عجزا كليـــا ، وصرف مساعدات مالية للأفراد والأسر المحتاجة في حالات الكوارث . وتكون هذه المساعدات اما مقطوعة ، وتعادل نحو ٥٠ في المائة من قيمة الخسارة التي لحقت بالمتضرر نتيجة للكارثة ، أو دورية وتصرف لأسر المرضى حتى يتم شفاؤهم ولأسر السجناء حتى يتم الافراج عنهم ، أو عاجلة ويقررها معالي وزير العمل والشؤون الاجتماعية بناء على توصية ادارة الطوارىء في مصلحـــة الضمان الاجتماعي .

أحد أطباء مستشفى القطيف يفحص طفلا مريضا .



مستشفى القطيف المركزي المقام في مدخل المدينة محاطا بأشجار النخيل الباسقة ، وهو يتسع لمائتي سرير .

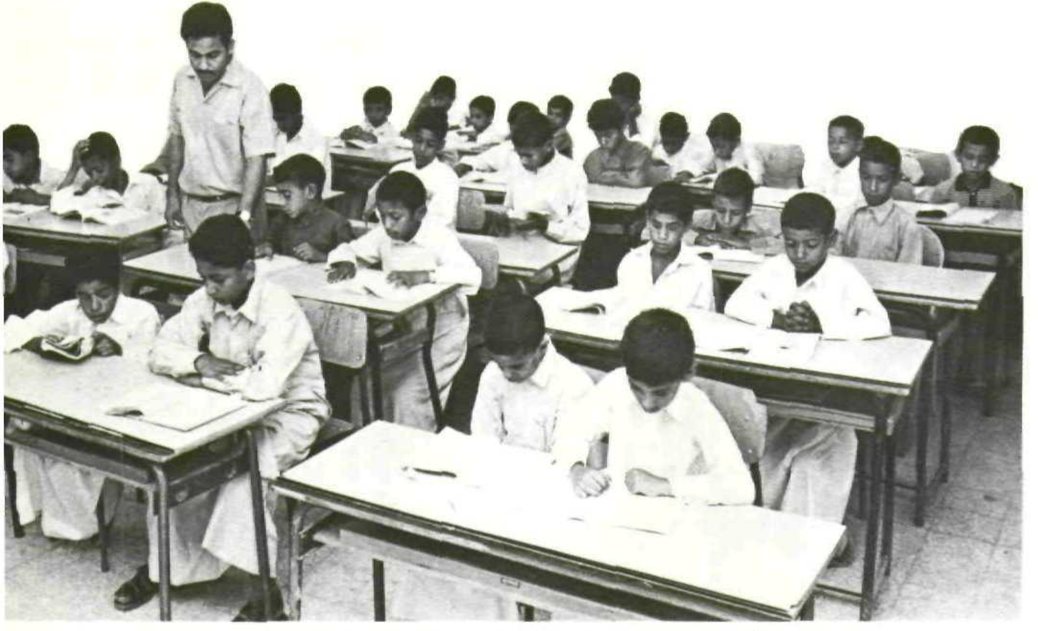


الزراعة في القطيف

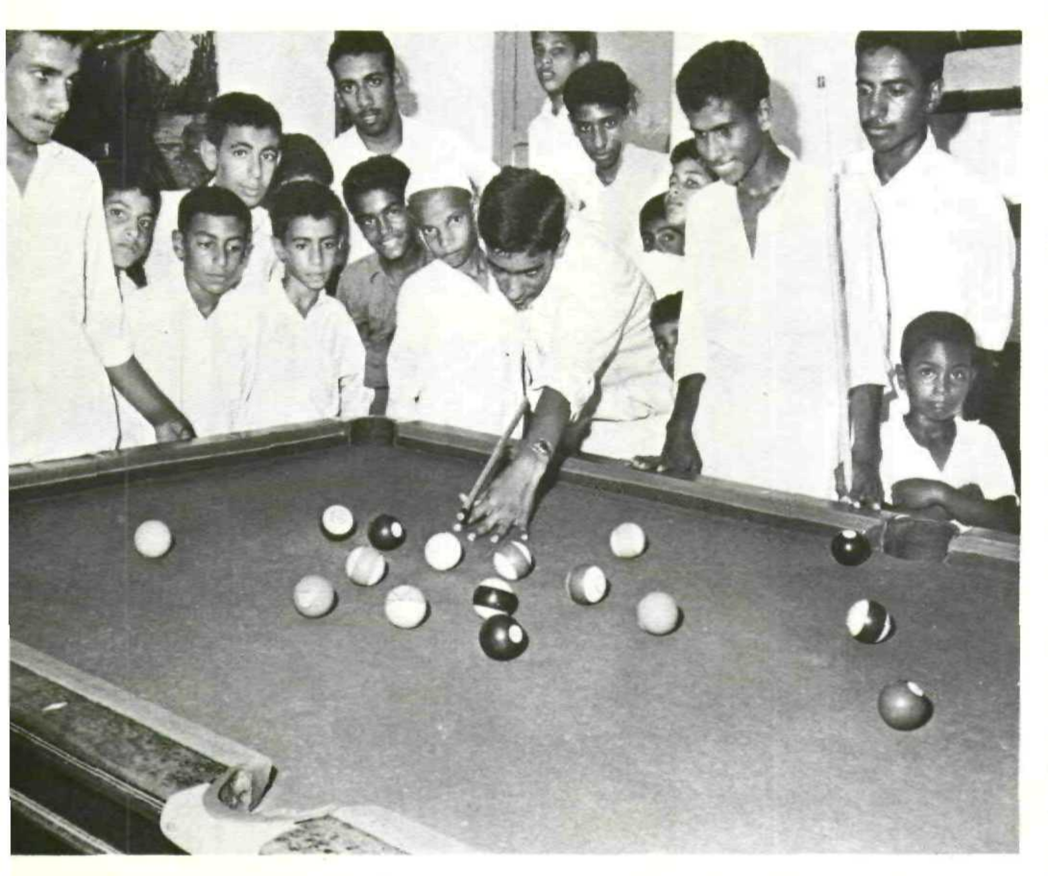
القطيفي مزارع نشيط ، فمنذ زمن موغل في القدم ، عرفت القطيف زراعة النخيل . ويبلغ عدد أشجار النخيل في المنطقة أكثر من مليون نخلة . وأرض القطيف خصبة خيّرة يتوفر فيها الماء ، وان كانت نسبة الملوحة فيها عالية . وتقسم محاصيل القطيف الى ثلاثة أقسام هي : الخضراوات ، والفواكه وتشمل الحمضيات والعنب والتين والرمان ، ومحاصيل الحقل وأهمها البرسيم والذرة الصفراء والسمسم . وقد تضاعف انتاج الخضراوات في هذه المنطقة خلال السنوات الخمس الأخيرة الى نحو عشر مرات .

وتعتمد منطقة القطيف على مياه العيون والآبار الارتوازية في ري أراضيها الزراعية ، وقد تم انشاء مشروع لصرف المياه الفائضة كان له فضل كبير في تقدم الزراعة وتطويرها ، اذ ساعد على غسل التربة وتخفيف ملوحتها ، وبالتالي على استصلاح مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية الجديدة .

وقد تأسست في القطيف وحدة زراعية عام ١٣٨٣هـ تقوم بأعمال : الارشاد الزراعي ، والوقاية ، والبيطرة ، والاحصاء الزراعي ، والهندسة الميكانيكية ، وشؤون المياه . ففي مجال الارشاد الزراعي أنشئت حقول نموذجية ليقتدي بها المزارعون في تطبيق الأساليب الحديثة في الري والتسميد وزراعة الأشتال وغير ذلك . كما يجري توعية المزارعين بالطرق الزراعية المثالية عن طريق زيارات دورية يقوم بها المرشدون للحقول . وكذلك يتم الاشراف على مزارع الدواجن في المنطقة ، ومراقبة عمليات حفر الآبار ، ومعرفة تحركات الجراد في المنطقة ، ونسبة سقوط الأمطار ، وغير ذلك مما يخدم الزراعة والمزارعين من الناحية الارشادية . وفي مجال وقاية النباتات يجري رش المزروعات بالمبيدات مجانا ، وارشاد المزارعين الى طرق الوقاية من الأمراض والآفات . ويقوم الطبيب البيطري ومساعده في الوحدة

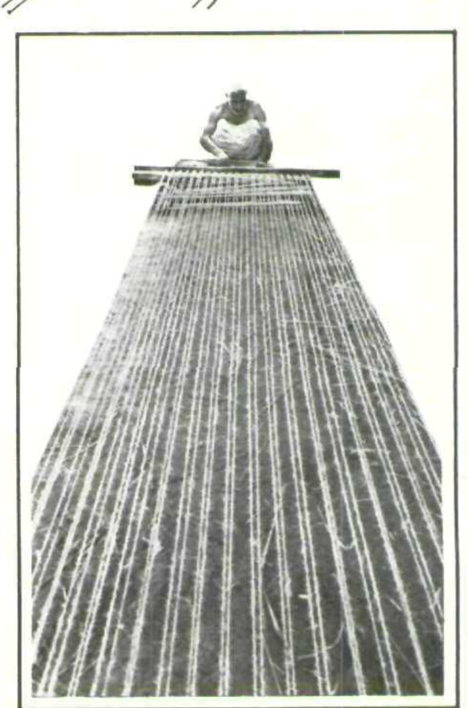


أحد الفصول الدراسية التي يعقدها مركز التنمية الاجتماعية بالقطيف للمتخلفين من طلبة المدارس أثناء عطلتهم الصيفية .



في القطيف عدد من النوادي الرياضية حيث يقضي الشباب وقتا ممتعا في بناء الجسم وفي التسلية البريئة .

صناعة الحصر ، من الصناعات اليدوية التي لا تزال تمارس – ولكن بشكل محدود – في واحة القطيف .



برعاية دواجن المنطقة وطيورها من الناحيتين العلاجية والوقائية ، وذلك عن طريق تطعيم الحيوانات السليمة بالطعوم الواقية من الأمراض السارية . كما يتخذ قسم البيطرة الاحتياطات اللازمة في حالة انتشار وباء بين دواجن المنطقة وطيورها . وتقع على عاتق قسم الاحصاء الزراعي مسؤولية اعداد البيانات الاحصائية اللازمة أحيانا لتخطيط المشاريع الزراعية التي تتبناها وزارة الزراعة ، وتشمل أسعار الجملة والتجزئة في السوق المحلية ومتوسط الانتاج وتكاليفه وغير ذلك. أما قسم الخدمات الميكانيكية فيقوم بتأجير المعدات من تراكتورات وغيرها بأسعار رمزية .

وقد قامت وزارة الزراعة بتأسيس مشروع محطة التجارب الزراعية في القطيف بالتعاون مع منظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة في أواخر عام ١٩٦٣ ميلادية ، وجلب له الخبراء الأجانب . وبعد أن انتهت دورة الخبراء الأجانب ، التي دامت زهاء ست سنوات عهد الى خبراء فنيين من وزارة الزراعة بالاشراف على المشروع وادارة مختلف الأعمال فيه .

وقد كان الهدف الرئيسي من انشاء محطة التجارب هذه ، استصلاح ما مجموعه ٨٨ هكتارا من الأرض غير المزروعة سابقا كنموذج ، وتشجيع المزارعين المحليين على استغلال الأرض وحثهم على اتباع الأساليب الحديثة الكفيلة برفع المستوى الزراعي في المنطقة . ويقسم العمل في محطة التجارب الزراعية الى أربعة أقسام ، هي : قسم الارشاد الزراعي ، وقسم التجارب الزراعية في الحقل ، وقسم التدريب على أعمال الزراعة . وقسم الثروة الحيوانية . وتجري المحطة سلسلة من التجارب الزراعية بغية معرفة أفضل المحاصيل التي يمكن انتاجها في المنطقة .

التعليم والحركة الأدبية

عرفت هذه المنطقة من المملكة العربية السعودية أسواقا أدبية شهيرة في العصر الجاهلي ، كسوق هجر ، وسوق المشقر ، وسوق الزارة ، وسوق الجرعاء ، وسوق دارين . وكانت هذه الأسواق بمثابة مؤتمرات أدبية يشترك في أحيائها أساطين الشعر والنثر . وأنجبت في ذلك العصر نخبة من الشعراء المجلّين ، منهم عمرو بن قميئة الذي يذكر بعض مؤرخي الأدب أنه أول من قال الشعر من نزار ، وسعد بن مالك ، وطرفة بن العبد الشاعر الجاهلي المشهور وصاحب المعلقة التي مطلعها :

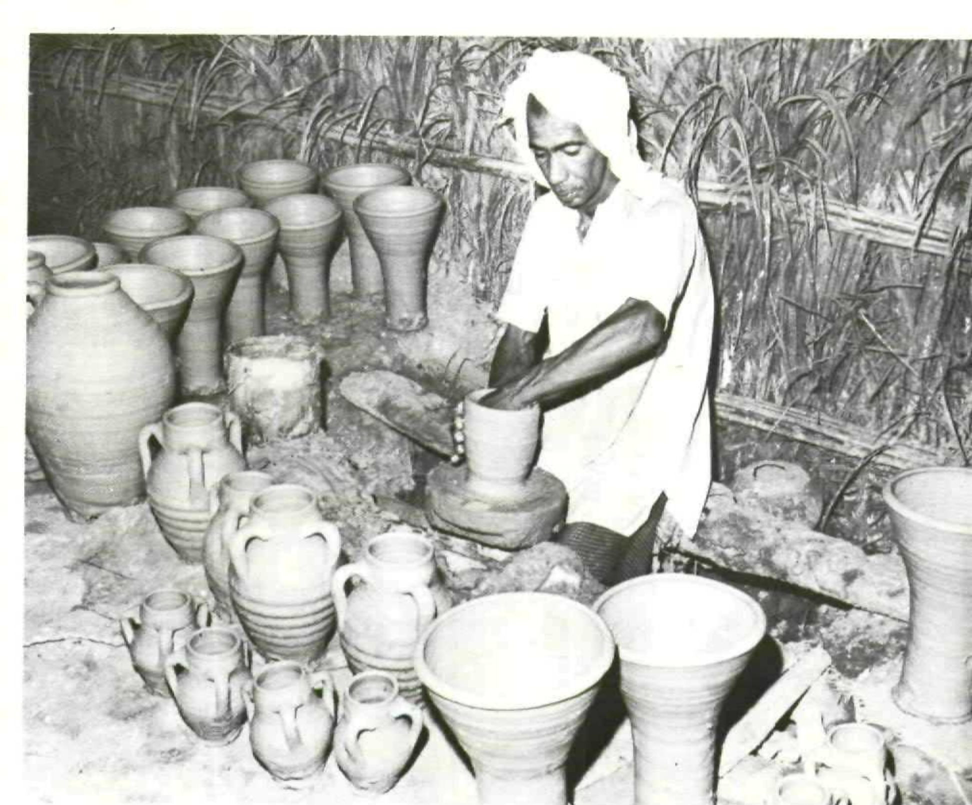
لخولة أطلال ببرقة ثهمد
تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

وكذلك المتلمس ، خال طرفة ، والمرقش الأكبر ، والمرقش الأصغر ، والمثقب العبدي . وفي العصر الاسلامي ، أنجبت هذه المنطقة بعضا من الشعراء منهم : الصلقان العبدي ، والأعور الشني ، وكعب الهجري ، وأبو الجويرية وعمرو بن أسوى . ومن شعراء المنطقة الذين برزوا في العصرين الأموي والعباسي : محمد ابن تمامة العبدي ، وقطري بن الفجاءة ، وعيسى بن عاتك الخطي ، وكشاجم ، وصاحب الزنج ، وعلي بن المقرب ، وغيرهم . وأثناء العهد التركي ظهر فيها بعض الشعراء كجعفر الخطي ، وأحمد بن مهدي بن نصرالله ، وغيرهما .

أما المدارس الرسمية فلم يكن لها في المنطقة وجود ، وكذلك لم تكن قد عرفت الطباعة أو الصحافة بعد . ولكنها كانت تزخر بكتاتيب تعليم القراءة والكتابة ومبادىء الحساب وتحفيظ القرآن الكريم وبحلقات الدرس التي كان يرعاها المشايخ ، والتي يرجع الفضل اليها في تخريج علماء وفقهاء عديدين ، بالاضافة الى عدد من الشعراء والأدباء الذين يمكن اعتبارهم نواة حركة أدبية ناهضة . فمن بين الفقهاء والعلماء الذين أنجبتهم هذه المنطقة : الشيخ علي أبو الحسن الخنيزي ، والشيخ عبد الله المعتوق ، والسيد ماجد العوامي ، والشيخ محمد صالح الصفواني ، والشيخ محمد علي الجشي . والشيخ منصور البيات . وغيرهم . ومن الشعراء والأدباء : خالد الفرج وله كتاب « علاج الأمية » وديوان شعر عنوانه « أحسن القصص » بالاضافة الى مخطوطة بعنوان « الخبر والعيان » وأخرى بعنوان « رجال الخليج » وديوان شعر مخطوط ، والشيخ عبد الحميد



جانب من مكتبة مركز الخدمة الاجتماعية في القطيف .



صناعة الأواني الفخارية من الصناعات التي اشتهرت بها منطقة القطيف منذ القدم .



السيد محمد بن فارس ، أحد أعيان القطيف ، في معرضه الكائن في بيته ، ويضم هذا المعرض مجموعة من التحف النادرة التي تلفت النظر .

الخطي وله كتاب « آراء وخواطر » وديوانا « وحي العواطف » و « وحي النجف » ، وعبد رب الرسول الجشي ، ومحمد سعيد الجشي وله ديوان مخطوط « أسى الأنغام » ، ومحمد سعيد الخنيزي وله ديوان مطبوع اسمه « النغم الجريح » ، وعبد الواحد الخنيزي صاحب ديوان « حب وأمل » ، وعباس مهدي خزام وله ديوان « أنغام وآلام » ، وكثير غيرهم من الأدباء والشعراء الشباب الذين ساهموا في نظم الكثير من القصائد وفي تدبيج العديد من المقالات في شتى الصحف والمجلات المحلية والعربية .

ومنذ أكثر من عشرين عاما عرفت المنطقة التعليم الرسمي فبلغ عدد مدارس الذكور الابتدائية فيها خلال العام الدراسي الماضي ٢٥ مدرسة ضمت ٨٢٧٤ طالبا ، في حين بلغ عدد المدارس المتوسطة ٦ مدارس ضمت في فصولها ٦٣٤ طالبا وتأخر افتتاح المدرسة الثانوية حتى هذا العام وكان عدد طلابها عند الافتتاح ٣٥ طالبا فقط .

أما تعليم الفتاة في منطقة القطيف فقد بدأه الأهالي في أواخر السبعينات الهجرية بافتتاح ثلاث مدارس أهلية . ثم لم تلبث الرئاسة العامة لمدارس البنات أن ضمت هذه المدارس اليها عام ١٣٨٠هـ بعد أن عوّضت الأهالي ما صرفوه عليها . ثم توالى بعد ذلك افتتاح مدارس البنات في مدينة القطيف والقرى المجاورة لها حتى بلغ عدد المدارس خلال العام الدراسي الماضي ١٢ مدرسة ، منها متوسطة واحدة في مدينة القطيف . وبلغ عدد طالبات المدارس الابتدائية ٣٣٢٨ طالبة في حين بلغ عدد طالبات المدرسة المتوسطة ١٨٥ طالبة ، وقد ساهمت شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو) في بناء العديد من مدارس الذكور والأناث في المنطقة بموجب برنامج خاص متفق عليه بين حكومة المملكة العربية السعودية وبين الشركة .

وبعد ..

فواحة القطيف واسعة مترامية الأطراف ، وهي تضم الكثير من البلدان والقرى ، الا أن قصبتها « القطيف » كانت — ولا تزال — مركز الواحة وقلبها النابض ■

تصوير : علي عبد الله خليفة



منظر ليلي لشارع مدينة القطيف الرئيسي (راجع المقال)

تصوير: علي عبدالله خليفة



غرفة التحكم في شحن الناقلات بالزيت في الجزيرة الاصطناعية برأس تنورة (راجع المقال)

تصوير : شيخ أمين